

الدكتور محمد شامة

# أثر البيئة في ظهور القاديانية

بطلب من : مكتبة رهبنة

١٤ شارع الجمهورية - عابدين

تليفون ٩٣٧٤٧٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى  
تتبع ملتهم ، قل ان هدى الله هو الهدى  
ولئن اتبعت أهوائهم بعد الذى جاءك من  
العلم ما لك من الله من ولى ولا نصير »

صدق الله العظيم

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة :

● تموج المجتمعات البشرية بظواهر فكرية ، متعددة المناهج والأساليب ومختلفة المناحي والاتجاهات ، ومتنوعة الأهداف والاعراض ، ويجيء هذا التباين طبقا لاختلاف العوامل التي ساعدت على ظهور هذه التيارات الفكرية ، فان من المسلم به في قانون هذا الكون ان كل حدث - وجودا او عدما - لابد له من سبب ، سواء كان هذا الحدث ماديا حسيا ، او معنويا مجردا ، فكما ان نوع البذرة وعناصر عضوية التربية ، وطبيعة الطقس عوامل تؤثر في نوع النبات ، وتكوين براءمه ، وتحديد ثماره ، فان للظواهر الفكرية ايضا تربة ، ومناخا يؤثر فيها ، فتتشكل ، وتنتج طبقا للعوامل التي دفعت الى ظهورها وتكوينها .

● ولهذا كان من اهم نقاط منهج المشتغلين بدراسات التيارات الفكرية ، هو البحث عن منابعها ، والكشف عن المؤثرات التي توجهها ، كي يستطيعوا مواجهتها ان كانت - في نظرهم - ضارة بالاجتمع ، او تدعيمها ان كان وجودها خيرا للفرد والامة .

● ذلك هو اسلوب المصلحين ، والداعين الى سبيل الحق في مواجهة التيارات الفكرية ، ومنهج القائمين على الدراسات



الجامعية - اما السرد التاريخي ، الذى هو طابع كثير من الكتب المنشورة فى المجتمعات الاسلامية ، واسلوب معظم المحاضرات فى مدرجات جامعاتنا ، فلا يصلح الا لحوامية الطلبة بالنسبة لأحداث الحركات الفكرية - لتخريج دعاة قاذرين على المواجهة ، اكفاء فى المحاورات والمساجلات الايديولوجية ، لان من لم يدرس التيارات الفكرية دراسة عميقة ، تحولت مواجهته لها الى مهاجمات لفظية ، وشقشقات لغوية ، واسلوب يدور فى فراغ فتكون النتيجة ان يتخذ عمله هذا سلاحا ضده ، وخنجرا يغمد فى قلبه ، فيصبح عمله وسيلة ضده ، لانه ، فننتكس الدعوة الى الله ، ويكون سبب هذا الانتكاس هم الدعوة انفسهم من حيث لا يدرون .

● ولهذا كان منهجى فى هذا البحث محاولة الكشف عن العوامل التى كانت سببا فى ظهور القاديانية ، لتكون مواجهة الدعوة لها قائمة على أساس علمى سليم .

والله أسأل أن يوفق الجميع الى ما فيه خير الاسلام والمسلمين .  
انه سهيع مجيب .

القاهرة فى ١١ من شعبان سنة ١٣٩٩ هـ

٦ من يوليو سنة ١٩٧٩ م

محمد عبد الغنى شامة

## الباب الأول

### طبيعة الدين الهندوسي

أطلق اليونانيون في القرن الرابع قبل الميلاد كلمة : « الهند » على النصف الشرقي من الكرة الأرضية ، وكانوا يقصدون بذلك على وجه التحديد : كل ما يقع على الجانب الشرقي لنهر السند (١) بما في ذلك الصين أيضا . ثم أطلقت فيما بعد ، وقصد بها : الجزء الأوسط من آسيا الواقع بين جبال الهمليا ، والمحيط الهندي . وهو يبدو على هيئة شبه جزيرة ، تشكل مثلثا ، قاعدته في الشمال ، حيث الصين وأفغانستان ، ورأسه في الجنوب حيث يفصل بينه وبين جزيرة سيلان مضيق « بولك » وخليج « منار » ، ويمتد ضلعه الشرقي على خليج البنغال ، والغربي على بحر العرب .

وتتضم هذه المنطقة المترامية الأطراف بيئات طبيعية مختلفة ، ففيها الجبال الشاهقة ، والوديان العميقة ، والصحارى المقفرة ، والغابات الكثيفة والرواح الخصبة . وترتب على هذا اختلاف أجوائها اختلافا شديدا ، ففيها الحرارة الشديدة ، والبرودة القاسية ، والجفاف المميت ، والرطوبة الخانقة ، إذ تجتاحها في الشتاء رياح جافة من الشمال ، جافة حارة في الربيع ، ثم رياح شرقية غربية ممطرة مطرا مدمرا .

كذلك اختلفت شعوبها اختلافا لا مثيل له في أي منطقة من

---

(١) أطلق عليه في البداية « سيندي » ، ثم « سيند » ، وأخيرا « Sindhu » .

ومنها اشتق اليونانيون كلمة « الهند » .

مناطق العالم وكثرت لغاتها ، وتباينت لهجاتها تباينا لا نظير له في أى دولة ، وبناء عليه ، فلا غرابة أن يكون الدين في الهند نموذجا مختلف الانواع والاشكال ، اذ هو يضم المبادئ السامية بجانب الافكار البدائية ، وكلاهما يسير جنبا الى جنب بصورة قل ان توجد في منطقة من مناطق العالم غير الهند . فالدين يضم الجليل والرديء البدائى وغير البدائى ، كل هذا بجوار بعضه بطريقة لا توجد في أى دين آخر ، ففي معبد فخم - أقيم في جنوب الهند على أحدث طراز - يقام للاله « شيفا » احتفال دينى رائع حيث تقام الطقوس الدينية ، التى تمجد هذا الاله ، فبينما ينتحى في هذا الاحتفال زاهد جانبا ، محركا حبات مسبحة باصبعه ، وهو يتمم بالصيغة المقدسة : «Shiva 'ham, Shiva 'ham»

ومعناها : « انا شيفا ، انا شيفا » ويؤكد بذلك ايمانه - أى ايمان الزاهد المردد لهذه الكلمات - بأنه - أى « شيفا - سيد العالم ، وان الكهان يعظمونه ، وانه في الحقيقة اصل هذا الكون ، وان الكل سيعودون اليه . . بينما يفعل الزاهد هذا يوجد على مقربة منه معبد صغير ، يضم تمثالا مزركشا لالهة ، وامامه دمي لنساء يبدو على وجوههن الحزن والكآبة ، والبؤس والشقاء ، والجوع ، والحرمان ، يطلبن - متوسلات - ان ينجبن اطفالا .

وفي « بنارس » - تلك المدينة المقدسة ، التى تماثل العواصم الروحية للأديان الكبرى - حيث كتب «Shankara شانكارا» (١)

→ (١) «Shankara شانكارا» : برهمانى من جنوب الهند ( ٧٨٨ - ٨٢٨ م ) ، وفيلسوف متخصص في النظريات الفلسفية ، التى انبثقت من « الاوبانيشادات » مثل : الاعتقاد بأن أرواح البشر مصدرها (براهما) وأنها ستعود اليه اذا وصلت الى معرفة الله ، او بلغت محبتها لله درجة تمكنها من الانفصال عن عالم البشر ، والاتحاد مع عالم الالهية ، التى خرجت منه .



تفسيره لـ «Brahamasutren» (١) ، وحيث موئل العلماء والحكماء حتى اليوم - يرى الزائر صورة من المتناقضات الصارخة ، فبينما يلقى العلماء دروسا من « الاوبانيشادات » (٢) أو من « الجيتا » (٣) أو يقصون على المؤمنين أساطير « كرشنا » (٤) ،

(١) كلمة « سوتر » «Sutra» تعنى تعليم ، فالجزء الذى تطلق عليه هذه الكلمة من « الفيدا » يحتوى على كتب تعليمية فى محيط العلوم الستة الخاصة ، وهى : الصوتيات ، والنحو ، والصرف ، والبلاغة ، والعروض والفلك . ويتعلم الكهان هذه العلوم ، لتساعدهم على فهم نصوص « الفيدا » ولتمكنهم من تأدية الطقوس ، التى يتحتم عليهم القيام بها فى تقديم القرابين المقدسة .

(٢) تحتوى « الاوبانيشادات » على الأفكار الفلسفية . والنظرية ، التى ابداعها الدين الهندوسى ، وهى مؤلفة على طريق السؤال والجواب بين تلميذ هو « شيلا » ، وأستاذ هو « جورو » ، وتدور تلك المحاورات حول موضوعات هامة مثل : الحقيقة الواقعية والمظاهر الخداعة ، التى لا تمثلها وصدور التعدد عن الواحد . الخ «Gitagovinda» جيتا جوفندا : من (٣)

اشهر القصائد الدينية فى الدين الهندوسى ويدور موضوعها حول حب « كريشـنا » و « رادها » وقد نظمها الشاعر البنجالى Jayadeva جايا ديفـا ، حوالى ١١٠٠ قبل

الميلاد ، و « جوفندا » اسم للاله « كريشـنا » . (٤) Krishna كريشـنا ، معناه فى اللغة

السنسكريتية : « المحبم » يقال انه امير هندى ، زعموا انه اكتسب الصفات الالهية تدريجيا ، وانه المتجسد للمرة الثامنة للاله الهندى « فيشنوا » ، وتحكى الاساطير انه تربى عند احد الرعاة ووقع فى حب فتاة من بناتهم ، كما تروى اعماله البطولية واقاصيص حبه .

أز « راما » (١) ، نجد بجانبهم صورة للسلوك التجارى المقنن .  
 حيث يتبارى الكهان ، والزهاد ، والتجار فى سلب اموال المتقين  
 الذين جاءوا راغبين فى الزاد الروحي ، وعلى مقربة من هذا يوجد  
 بثر حيث تقدم القرابين لأفعى مقدس ، أو تقام مراسيم التقديس  
 والتعظيم لصورة « Ganesha جانيشيا » (٢)  
 متدلية البطن ، ولها رأس فيل ، وفى Kalighat  
 كالجات ، - بالقرب من « Kalkutta كلكتا » - تقدم الضحية

(١) « Rama راما » شخصية أسطورية مؤلفة فى  
 الادب الرامى ، الذى ظهر فى عصور الهند القديمة ( من القرن الرابع  
 قبل الميلاد وحتى القرن الثامن بعد الميلاد ) ، وهو - كما تروى  
 الاساطير - ابن « Dasharatha داساراتا » ، عاش فى  
 المنفى الاختيارى مع زوجته « Sita سيتا » ، بنت  
 « Janaka جانكا » ، وقاتل هناك بشجاعة نادرة - الشيطان  
 « Ravana رافانا » ، ثم رجع الى وطنه ويعتقد  
 الهندوسيون أنه « Vishno فيشنو » تجسد فى صورة  
 انسان ، وأن زوجته « سيتا » هى « Laksham لاكشامى » زوجة  
 « فيشنو » ، ظهرت فى صورة بشرية .

(٢) « Ganesha جانيشا » : من أشهر آلهة  
 الدين الهندوسى فهو - حسب اعتقاد الهندوسيين - ابن  
 « Shiva شيفا » ، وأمه الآلهة « Durga دورجا » -  
 وقيل ان اسمها : « Shakti شاكتى » - وصفوه أولا  
 بأنه إله الزراعة ، ثم أصبح حاميا للثقافة ، والذكاء . رسموا  
 رمزه على هيئة رجل ذى اربع أيد وله رأس فيل ، ممتطيا فأرا  
 برياً . وتتصدر هذه الصورة كثيرا من الكتب الهندية مزينة ببعض  
 الابيات فى مدحه وتعظيمه .



- وهى عبارة عن ماعز ينهمر منها الدم ( تقطر دما ) -  
 ١- « Kali كالى » (١) وفى نفس الدينة ، وعلى مقربة  
 من هذا المكان ، يوجد معبد « Ramakrishna  
 راما كريشنا » (٢) وهو آخر القديسين الكبار ، توفى عام  
 ١٨٨٦ م .

ومما لا شك فيه ان كل فكر دينى يشتمل - فى جميع مراحل

(١) « Kali كالى » ( ومعناها فى اللغة  
 السنسكريتية : السوداء ) : احدى النساء المؤلهات فى الدين  
 الهندوسى ، وزوجته « Shiva شيفا » يتخيلها المؤمنون  
 بهذا الدين فى صورة امرأة شريرة ، زائفة البصر ، لها رأس سوداء ،  
 وعشرة أذرع ، تحمل فيها رموز الآلهة ، وقرابينها أضاح يصحب  
 تقديمها - فى الغالب - طقوس مفرطة فى اللهو .

(٢) « Rama Krishna راما كريشنا » ولد فى عام  
 ١٨٣٤م ، لأب برهمانى - أى رجل دين - قام بالطقوس الدينية فى  
 معبد « كالى » بالقرب من كلكتا وهو ابن سبعة عشر عاما ، ولما  
 لم يجد فى الصلاة والتأمل مبتغاه ، اتجه الى الفلسفة الدينية  
 الهندية ، ومارس اليوجا ، ثم درس الاديان الاخرى أيضا ولكنه  
 لم يعتقد ايا منها ، بل توصل من هذه الدراسة الى ان الحقيقة  
 الالهية واحدة غير انها ظهرت عند الناس بصور مختلفة - أى ان  
 الطرق مختلفة والهدف واحد وهو تعظيم الله ، وكان هذا الاتجاه  
 سببا فى اعتناق كثير من الاوربيين والامريكيين دعوته فتأسست  
 عام ١٨٩٧م - أى بعد موته بأحد عشر سنة « بعثة تبشيرية » فى  
 كندا تدعو لمبادئه .

التاريخية - على خليط من السلوك والافكار ، بعضها سام جليل ،  
والآخر بسيط تبدو عليه احيانا ملامح البدائية ، لان المؤمنين بالدين  
- اى دين ، بصرف النظر عن درجته بين الاديان مختلفون اختلافا  
كبيرا فى درجة الثقافة والوعى الفكرى ، ففهم الرجل العادى لقدرة  
الله ولاوامره ، ونواحيه ، يختلف عن تصور رجل ، قطع شوطا  
كبيرا فى عالم الثقافة والمعرفة ، أو وصل الى درجة الخلق والابداع  
فى مجال الفلسفة مثل الغزالى ، وابن سينا . . . و . . الخ .  
ولهذا فتفاوت الافكار الدينية وتباين الصور للمعبود عند المؤمنين  
بدين واحد ضرورة اقتضاها اختلاف الطبقات الثقافية فى المجتمع ،  
وأملتھا ظروف سياسية واجتماعية ومذهبية . غير أن طبيعة  
التعدد - الذى وصل الى حد التناقض - فى التصور العقدى وفى  
السلوك الدينى عند الهندوسيين ، تجاوز الحد المألوف فى المجتمعات  
الدينية الاخرى ويرجع ذلك الى اسباب منها :

١ - تفاوت السكان فى اللغة ، ودرجة الحضارة والثقافة تفاوتاً ،  
لا نظير له فى المجتمعات الدينية الاخرى .

٢ - أحدث هذا التفاوت أثره المشاهد فى الهندوسية ، فهى لاتنسب  
لفرد معين ، اسسها ووضع قواعدها الاساسية ، ثم جاء  
خلفاؤه ، ففسروها واختلفوا فى تفسيرها . لو كان الامر  
كذلك ، لاقتصر الاختلاف على تباين وجهات النظر فى التفسير ،  
ولبقى فى الدائرة المعروفة للاديان ، حيث يجمع معتنقوها على  
الاصول ، ويختلفون فى الفروع . ولكن الاختلاف لدى  
الهندوسيين امتد الى الاصول أيضاً ، لانه لا يعرف لها مؤسس  
معين ، بل هى مبادئ ، تطورت عبر القرون ، جارية معها  
افكار وتصورات العصور المتعددة ، وممسكة بملامح كل بيئات  
الهند المختلفة ، فجمعت النظريات الفلسفية ، بجانب الاساطير

الشعبية ، بما فيها خرافات ، وتصورات بدائية ، وأعمال  
يعجز العقل المتحضر عن فهمها . فضلا عن الوصول الى سرها .  
أو الهدف من ممارستها .

٣ - ليس الدين الهندوسي كلمة تجمع حولها المؤمنين بها . وليس  
مكرا لمؤسس واحد يكون قاعدة مشتركة لمن يشتغلون بتفسيره  
والدعوة له . بل هو بمثابة خيط مستمر التطور ، يربط الماضي  
والحاضر في نيار غير منقطع . ويضم حوله صورا من الماضي  
السحيق ، بجانب تصورات دينية حديثة . ولذا لا نجد فيه  
عقيدة دينية محددة وثابتة . كما في الأديان الأخرى . ولا  
يؤمن أتباعه بنظرية محددة عن خلق العالم . أو عن خلق  
القوى المادية وغير المادية . ولا عن خلق الروح ، أو علاقة  
الجسم بها . كذلك لا تفسر الأوامر والأوامر الدينية تفسيرا  
محددا . بحيث تكون ملزمة لكل على طريقة واحدة . ولهذا  
يوجد هندوسيون يأكلون اللحم ، وآخرون يحرمونه على  
أنفسهم ، ويعيشون نباتيين طول حياتهم ، كما يوجد عنهم  
من يعزف الموسيقى ، ويستمتع بسماعها . ومنهم من يعيش  
حياة قاسية حيث يحرم على نفسه كل أنواع الطيبات ، التي  
يتمتع بها أخوه في العقيدة . وغير ذلك كثير . ومختلف فيه  
اختلافا لا حد له .

٤ - يعتقد الهندوسيون أن دينهم هو الحقيقة ، التي يجب أن تبلغ  
الناس في كل عصر بصورة مطابقة لمقتضيات ذلك العصر .  
وطبقا لهذا يعتقدون أنه يظهر في كل زمان حكماء ، وأناس  
شغل فيهم الروح الإلهية - روح براهما - ليجددوا الرسالة ،  
ويقوموا بنشرها ، مثل :



« Vyasa فياسا » (١) و « Manu مانو » (٢) و « Rama رام » و « Shankara شانكارا » و « Ramakrishna رام كريسنا » ، ولم يأت هؤلاء - كما يفرض الهندوسيون - بتعاليم جديدة ، بل كانت مهمتهم تجديد التعاليم الموجودة ، لتلائم العصر .

ومما لا شك فيه أن العالم الفكرية للعصور المختلفة ، وجدت طريقها إلى الدين الهندي عن طريق هؤلاء الحكماء ، فالفكر ابن عصره ، مهما بولغ في عزله عن المنابع الفكرية غير الدينية ، كما يتأثر - نسبيا - بتعاليم الأديان الأخرى إن سمحت الظروف بوصولها إليه ، سواء كان عن طريق الدراسة لاشباع رغبة عنده ، أو المجادلة مع بني وطنه .

وقد ظهر واضحا عند حكماء الهند ودعاة الإصلاح ، الذين ظهروا فيها بعد الفتح الاسلامي - غناثرهم بالاسلام بدا جليا في المبادئ التي اعتنقوها ودعوا إليها وفي المجالات الكلامية التي تناولت حقيقة

(١) « Vyasa فياسا » أحد الشخصيات المقدسة في الأساطير الهندية . ويقال أنه هو الذي رتب نصوص « الفيدا » .

(٢) « Manu مانو » ( ومعناه في اللغة السنسكريتية : انصاف ) تقول الأساطير الهندية أنه « أبو البشر » ويعتبرونه منبع الفضيلة والخير .

الذات الإلهية ، غيبنا ما يرى ، Ramanuja رامنوجا ، (١) - وهو من أتباع المذهب ، الشيفي ، - أن الأرواح والمادة جوهر الألوهية ، يخالفه ، Madhva مادفا ، (٢) فيذهب إلى أن الأرواح والمادة جواهر متحدة ، وتختلف اختلافا كلياً عن الله ، غير أنها خاضعة لسلطانه .

أثر الإسلام أيضاً في الحركات الإصلاحية - ذات الطابع الديني - التي ظهرت في الهند مثل :

١ - حركة ، Brahma — Samag براهما - ساماج ،

(١) ، Ramanuja رامنوجا ، : عاش في القرن الثاني عشر الميلادي ويعتبر المرجع في « الأوبانيشادات » والفلسفة الهندية بعد « سانكارا » ، غير أنه خالف نظرية الوحدة التي كان يدعو إليها « سانكارا » ، فأصبح أكبر مدافع عن عبادة « فيشنو » في حنوب الهند ، ركز « رامنوجا » على العمل الصالح والتقوى كطريق إلى الخير ، ودعا إلى محبة الله ، وخاصة « رام » ك « تجسيد » للاله « فيشنو » .

(٢) ، Madhva مادفيا ، : أحد رجال الدين الهندوس في القرن الثالث عشر الميلادي ، وهو من « الفيشنويين » (نسبة إلى فيشنو) . ذهب إلى ثنائية الله والروح الفرد - مخالفاً بذلك الوحدة الفلسفية ، القائمة على عبادي « الأوبانيشادات » - وأن محبة الله تستطيع تهر هذه الثنائية والوصول إلى الخلاص . ويرى أتباع هذا الاتجاه - ويطلق عليهم « المادفيون » - أن العناصر الخالدة تكمن في « فيشنو » وهي مختلفة عن جواهر الأرواح والأشياء المادية .

أي جماعة المؤمنين بالله أسسها ، Ram Mohan Roy  
 « رام موهان روي » (١) في عام ١٨٢٩ م ومن مبادئها : تحريم  
 الصور والتمثيل في المبادئ ، ومحاربة تقديسها والدعوة إلى  
 التوحيد . وقد لعبت هذه الحركة دورا كبيرا في فرار الحكومة تحريم  
 حرق الزوجة التي مات عنها زوجها ، وبذلك أبطلت عادة من عادات  
 الدين الهندوسي . \*

٢ - « الربانيون في الهند الحديثة » أسسها Keshab Candra  
 كيشاب كاندرا ، في إقليم البنغال في عام ١٨٨١م وعم يمثلون  
 فرعا انفصل عن جماعة المؤمنين بالله ، واتجه إلى محاولة جمع  
 الأديان كلها في قالب واحد فهم - كما وصفهم  
 «Nulle» يعزفون : سيمفونية جميع الأديان ، \*

٣ - « جماعة الآريين (Aryasama) » أسسها Dayanand  
 داياناند ، ( ١٨٢٤ - ١٨٨٢ م ) في عام ١٨٧٥ م وهي طائفة

(١) Ram Mohan Roy « رام موهان روي »  
 ( ١٧٧٢ - ١٨٢٣ م ) ساعدته دراسته في العلوم المختلفة - تعلم  
 العربية ، والفارسية ، والتكريتية ، وقرأ القرآن ، واطلع على كثير  
 من الأفكار الحديثة - على ادراك أن الدين الهندوسي لا يمكنه  
 مقاومة التيارات الحديثة ، فحاول أن يدخل عليه بعض الإصلاحات،  
 حتى يتمكن من الصمود امام الغزو الفكري ، ويرى بعض علماء  
 الأديان الأوروبيين أن التيار الفكري الأوروبي ، كان السبب في دفعه  
 إلى تكوين جمعية ، براهما ساماج ، وهو رأى يحتاج إلى دليل .  
 أما الشيء الذي لا مرا فيه ، فهو أن معالم الاسلام بدت واضحة في  
 عبادتي ، جمعيته . \*



تدعو إلى التوحيد ، ونبتذ الصور ، وتعد من الطوائف التي حاولت تطهير الدين الهندي ، ليلائم العصر الحديث ، غير أنها ترى أن « النيدا » هي منبع كل الحقائق ، ولذا ينبغي ألا تخرج الصور الجديدة للدين عن المبادئ الموجودة فيها . وهي تميل إلى مزج الهندوسية مع المسيحية ، ولذا فهي تقف موقف المعارضة مع جمعية « براهما ساماج » .

انعكست هذه الظاهرة على الجانب الآخر ، فقد خرج من بين المسلمين أسماء في شهادة الميلاد - وفي الهند من نادى بدعوى تقوم صيادتها على مزج الإسلام بالهندوسية ، أو ادخال عادات وتقاليد هندوسية في المجتمع الاسلامي . ومن أشهرهم :

١ - « كبير » ( ١٤٤٠ - ١٥١٨ م ) : ولد لأبوين مسلمين واشتهر بفرض التسمير . اعتنق فكرة المزج بين الإسلام والهندوسية ، ودعا إليها . فكان يرى أن كلا العقيدتين تعظم الهما واحدا متعاليا ، والفرق بينهما ، هو في الصورة الظاهرية للعبادة فقط . ولذا تساوت عنده الأماكن المقدسة في الدين الهندوسي بالمساجد الحرام في مكة ، ولم يختلف القرآن - عنده - عن الكتب المقدسة الهندوسية .

أخذ عن الهندوسية :

عقيدة تناسخ الأرواح ، وقانون الجزاء الأخلاقي « Karma Gesetz » والایمان بأن محبة الله « Bhahti » هي الطريق الوحيد للخلاص .

وأخذ عن الإسلام :

تحریم عبادة الأصنام .

٢ - « جورونافاك » Gurn Nanak (١) ( ١٤٦٩ - ١٥٣٨ م ) : تأسس دين « السيك » (٢) في إقليم البنجاب بالهند في أوائل القرن السادس عشر الميلادي وكان هدفه جمع المسلمين والهندوسيين على أساس الاعتقاد بوحداية الله . والمساواة بين الناس . ويقال : انه قرأ القرآن الكريم . وحج بيت الله الحرام وسلك طريق الصوفية .

(١) « جورو » ( ومعناها في اللغة السنسكريتية : استاذ أو معلم . أو صاحب قضية أو صاحب غبطة ) . وهو لقب أطلق على المتهم . ويقابله في الأدب الأخرى : بابا . أو ملا . أو امام . ويلقب به خلفاء « فاناك » العشرة . وكان آخرهم « Govind Singh » ( ١٦٧٥ - ١٧١٩ م ) الذي لم ينسب خليفة له ، بل دعاهم الى اتخاذ الكتاب المقدس « Adi Granth » اماما لهم .

(٢) تأسس دين « السيك » - أو السيخ - ومعناها : المريخون - في القرن السادس عشر الميلادي . وانتشر في البنجاب . وتبوا اتباعه مكانا سياسيا عاما بسبب حريهم ضد المغول في عهد « Govind Singh » الذي أطلق على كل فرد منهم في تنظيمهم العسكري كلمة « Singh » ( أي أسد ) وبعد موته فقدت الطائفة مركزها السياسي . ولكن الجماعة ازدهرت في عهده « Randschit Singh » من ١٧٨٠ - ١٨٣٩ م الذي وحدهم . لكنهم هزموا بعد موته بفترة قصيرة امام الغزو البريطاني . وفي عام ١٩٤٧ رحلوا عن منطقة البنجاب الواقعة في باكستان . وهم يعيشون الآن في البنجاب الشرقية وفي المناطق الشمالية الأخرى في الهند . عنترقت بين الهندوسيين .

و ، السيك ، قوم موحدون . لكنهم يظنون على الهم أحد  
أوصاف الآله ، فنسبوا ، ألا وهو «Hari» ، كما يعظمون  
أسمهم ويعتبرونهم واسطة بينهم وبين الله ، كما اتخذوا  
«Adi Granth» (١) كتابا مقدسا لهم ، وفرض عليهم  
أنتمهم طقوسا مقتبسة من أديان مختلفة مثل : التعميد بماء السكر ،  
وارتداء زى خاص بهم ، واتباع نوع معين في حلاقة الشعر ، وإطلاق  
الحنية ، كما حرموا عليهم الختان والحج .

٣ - جلال الدين أكبر : من أشهر ملوك الدولة المغولية ، تولى  
عرش هذه المملكة الإسلامية وهو شاب في مقتبل العمر في منتصف  
القرن السادس عشر الميلادي ( ١٥٥٦ م ) ، وظل حاكما قويا لها  
حتى عام ١٦٠٥ م ، كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ، ولكنه رزق عقلا  
كبيرا ، هداه الى البحث والدراسة عن طريق السماع ، فجمع حوله  
صفوة من رجال الأديان المختلفة الموجودة في مملكته ، ورتب لهم  
عقد جلسة للمناقشة والبحث في القضايا الدينية في يوم الثلاثاء من

---

(١) في اللغة السنسكريتية «Adi» أصل و «Granth»  
كتاب بمعنى الاسم إذن : الكتاب الأصلي ( أو أم الكتاب ) ،  
وموضوعه الرئيسي الآله الواحد ، أو النجوعر الأعلى ، ويتألف من  
٣٢٨٤ نشيدا ، تحتوي على ٥٥٧٥ بيتا شعريا .

كتب في البنجاب بلجة « شاناك » وجمع في عام ١٦٠٤ ،  
وأصوله التي يطلق عليها «Darbar Sahib»  
محفوظة في المعبد الذمبي في «Amritser» ، أمر تسر ، ويجب على  
كل « سيكي » حفظ الجزء الأول منه ، وتلاوته كل صباح ومن ثم  
يقبل ذلك فليس « سيكيا » .



كل اسبوع . فكانت هذه الجلسات مسرحا لطرح عقائد متباينة ،  
وتصورات دينية مختلفة ، وآراء متنافرة ، وأفكار متضاربة في  
أسلوب جدلي عنيف ، سيطرت عليه رغبة كل فريق الانتصار لدينه  
ودحر الاديان الاخرى ، ضارين الصفع عن جميع الاعتبارات الاخرى .  
التي ينبغي الالتزام بها عند مناقشة اصحاب الاديان المخالفة ،  
وخاصين عن القواعد السليمة التي يجب الحرص عليها في مثل هذه  
الاحوال للوصول الى التعاليم الدينية التي لا تتناقض مع طبيعة  
الانسان ، والتي تحقق للفرد الامان والاطمئنان في الدنيا والسعادة  
في الآخرة .

غرست هذه المناقشات الشك في قلب جلال الدين اكبر ،  
فتزعزعت عقيدته واضطرب تفكيره ، فاستولت عليه الحيرة ،  
فسدت امامه سبيل الوصول الى الحقيقة المطلقة ، لأن الحقائق  
الدينية اهتزت امامه من جراء هذه المساجلات بين صفوف رجال  
الاديان المختلفة ، فانتهز هذه الفرصة بعض رجسالة الدين  
المغامرين (١) فاوعوه انه المبعوث الاوحد ودفعوه الى دعوى الاجتهاد

---

(١) وأقصد بهم أولئك الذين يسعون للتغريب من الحاكم ،  
ليمالوا جاعا او مالا او كليهما ، وما اكثرهم في كل عصر . ولم  
- ولن - يخل جيل من أمثال هؤلاء الذين يزيفون للحاكم صوابا رايه ،  
بل يبحثون له عن سند لها من الدين ، وإن أولوا التصوص نأويا  
منعسقا به ، وأحيانا يجهدون أنفسهم في البحث عن مبرر ديني  
- في رأيهم - لتعطيل حكم ابتغاء مرضاة الحاكم ، والا لحقتهم  
اللجنة فيطردون من مناصبيهم ، ليحل محله من عنده استعداد اكبر  
لتحقيق هذه الغاية .

المطلق وزموا له انه صاحب دورة دينية جديدة ، فادعى ان عصر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قد انتهى بنهاية الالف عام ، وبدأ عهد امامته ، امامة السلطان اكبر ، فهو الآن صاحب الكلمة في العقيدة الدينية ، ثم اعطى فكرة التقريب بين الاديان ليتفادى الخلاف الذي ظهر في جلسات الثلاثاء بين رجال الاديان ، وتجتمع الهند بأسرها تحت دين واحد ، فمزج بين مبادئ عندوسية ، واسلامية \* \* وزرادشتية في دين واحد أطلق عليه ، دين الله ، واعتقد انه ظل الله ، ونائب عنه في الارض .

اتمم في عبادته وعاداته خليطا من الاديان الثلاثة ، وعلى سبيل المثال : آمن بوحداية الله ، وعبدته على طريق براهما الهند ، وكان يولى وجهه شطر الشمس حين طلوعها متمتما لها بكلمات النقيديس ، تعظيما لها ، كما حرم ذبح البقرة في انحاء الهند كلها ، وباح شرب الخمر ، واكل لحم الخنزير .

استمر في هذا الطريق - تلفيقا وجمعا ومزجا بين مبادئ الاديان المختلفة - حتى بعدت الشقة بينه وبين الدين الاسلامي .

= ولما آمن المرء النظر في وجوه الذين يتولون المناصب الدينية الكبرى في اى دولة ، فسوف يجد ان معظم الذين يتمتعون بميراثها مدة اطول منسايعون للحاكم او مسالمون له اما اصحاب المبادئ الذين يسعون جاعدين لتطبيقها في مجال سلطتهم فلا يتولون من المناصب ما يساعدهم على تحقيق غايتهم ، وان لعبت الظروف دورا في توليتهم يوما ما ، فسرعان ما يقع الصدام بينهم وبين ذوي الاعواء والحطامع فيخرجون ، ويحاصرون ، حتى لا تنتقل عدوهم الى غيرهم ، فتتسع دائرة المخلصين لتحاصر شمل المنفعين .

ففتشاً عنده شعور بالعداء له - تحت تأثير من يكتفون العداء للدين الاسلامي من رجال بلاطه فكان يسوء ان يسمى احد في بلاطه ابنه محمداً . وبذلك أصبح الاسلام غريباً في تلك البلاد ، التي استمر فيها الحكم الاسلامي زهاء خمسة قرون وكاد يقضى عليه لولا هلاك جلال الدين أكبر . وجهود كثير من العلماء المخلصين من أمثال الشيخ أحمد بن عبد الأحد السهرندي (١) .

كان لهذه الظاهرة الهندية - ظاهرة التلفيق والمزج بين الاديان المختلفة ، لنسج دين ، أو مذعب جديد - أثر كبير على ميرزا غلام احمد ، ضاى بدعوة - هي القاديانية - مزج فيها بين مبادئ مسيحية ، واخرى اسلامية ، على النحو الذي سنبينه فيما بعد .

(١) هو أحمد بن عبد الأحد بن زين العابدين الفايروقي السهرندي ( ٩٧١ هـ / ١٥٣٤ م - ١٦٢٥ / ١٥٦٣ م ) من علماء الهند ، الداعين الى نبذ البدع ، ويلقب بمجدد الالف الثاني . نسبة الى « سهرند » ومعناها : « غاية الاسد » بين دعلي ولاهور ، وهو له ورواياته بها . تنفقه وحج ، واشتغل بالتدريس ، وحبسه السلطان « جهانكير » ، قبل : لامتناعه عن السجود تعظيماً له . وأطلق سراحه بعد ثلاث سنوات . فعاد الى « سهرند » . من مؤلفاته : رسائل في « المبدأ والمعاد » . و « اثبات النبوة » و « المعارف اللادينية » و « رد الشيعة » .

( أنظر : أبجد العلوم ٨٩٨ ، وهداية العارفين : ١ : ١٥٦ - عن الاعلام للزركلي ) .



## الباب الثانى

### الصراع الدينى

يواكب الصراع بين الأديان والمذاهب مسيرة التاريخ ، فمضى  
وبعد الإنسان على سطح الأرض لم يخل عصر من مساجلات  
ومصادمات - تصل فى معظم الأحيان إلى الصدام المسلح - بين أتباع  
الأديان والمذاهب المختلفة ولئن يشهد الإنسان حقبة تختفى فيها  
المنازعات اختفاءً مطلقاً ، قد شهدا غيتووارى الصراع المسلح عن  
الساحة ، حيث تغمد السيوف - وما فى حكمها - فى أجربتها .  
بيدما تستمر المساجلات الكلامية بشكل أو بآخر . وقد تحتم  
ظروف العصر الامتناع - أو التخفيف من لهجة تحليل ونقد العقيدة  
المخالفة - عن ميانسة هذا النوع من الدفاع عن العقيدة ، ذلك  
الدفاع ، الذى يستلزم - بجانب بيان صحتها - الكشف عن ضعف  
وومن العقائد المخالفة لها . ولكن من المستحيل ان تتجاوز  
المصالحة هذا الحد ، الا فى حالة ضعف العقيدة عند احد الفريقين .  
ويكون هذا مقدمة لخوبانها فى عقيدة الطرف الآخر مثلما حدث  
العقائد ، التى اختلفت من المجتمعات الشرقية القديمة ، لتحل مكانها  
عقائد أخرى كالمسيحية والاسلام (١) .

---

(١) قد يمتزج القديم بالحديث ، عندما يضعف عن المقاومة ،  
ومثال ذلك ما حدث للدين « القيدى » فقد امتزج بدين الآريين ،  
الذين غزوا الهند فيما قبل التاريخ ، ونشأ عنهما ما يعرف  
بـ « الهندوسية » أو « البرهمانية » .

فاذا تصفحنا التاريخ فسنجد سطوراً مليئة بالدماء ، التي سألت أنهاراً في حلبة الصراع بين قوم يتمسكون بما وجدوا عليه آباءهم من عقائد وعادات - رغم ما تطلها من تحريف وانحراف . وما خالطها من أهواء وشهوات الانسان - ورسل أتوا لتصحيح مسار الدين - دين الله الواحد ، الذي أنزله على جميع الرسل - في المجتمعات البشرية . وسوف نجد أيضاً أن أعنفها وأطولها هو صراع الشرق الاسلامي مع أوروبا المسيحية ، فقد اتخذ صوراشقي . واساليب متعددة ، طابعا للظروف والملابسات ، التي تناسب العصر . وتتفق مع الزمن - والسبب في عنف هذا الصراع ، وامتناده على طول اربعة عشر قرناً ، يرجع الي :

### اولاً - أصالة الدين الاسلامي في النفوس :

● بما يدعو اليه من سماحة وأخوة ، ومساواة بين المؤمنين جميعاً لا فرق بين غنى وفقير ، ولا بين حاكم ومحكوم .

● وبما يفرسه في عقول المؤمنين من مبادئ ، تتفق مع واقع الوجود الانساني ، فلا رهيانية ، تصيب الفرائض الانسانية بدا ، الشلل ، فيمنعها عن ممارسة ما خلقت له ، ولا انغماس في المادية التي حد تدمير الفرد والمجتمع .

فتعاليم الاسلام مطابقة للطبيعة البشرية ، تصفى الروح من الشوائب المميتة ، وتحت على العمل لبناء الحضارة المادية . كما تحذر من التفریط أو الإفراط كي لا يختل التوازن . لانه اذا افراط المجتمع في المادية ، وقرط في النواحي الروحية ، سادت الانانية ، وحب الدنيا ، واستولى الطمع والجشع على النفوس . فهان كل شيء - حتى الحفيدة - في سبيل الوصول الى ارضها . النفس

الشهوانية ، واتساع الرعيات الجسمانية ، فتضيع الدولة أمام هجمات الأعداء . كما حدث للمسلمين في الاندلس . عندما شاعت الانانية وحب الذات بين القادة والامراء ، وحرصوا على الدنيا . فقتلوا وصلبوا كثيرا من اخوانهم المسلمين ارضاء للنفس الأمارة بالسوء . واتساعا لشهوة الحكم فضعفوا وصاروا لقصة سائغة للهجمات النصرانية . التي لم تهدأ حتى قضت على الاسلام نهائيا في الاندلس .

وإذا غرط في الأخذ بأسباب القوى المادية ، خيم الجمود على الدولة فأورثها الوهن والضعف ، فيتصدع بنيانها . وتنفك أوصالها . وهو ما حدث للشرق الاسلامي في القرون الوسطى . فقد عاش منطويا على نفسه حقة أضعفته وأنهكتة ، فسقط أمام الزحف الغربي سياسيا وعسكريا ، لانه فقد التفوق الحضارى الذى كان يفتخ به أيام الحروب الصليبية ، سقط لان المعركة كانت بين طرفين غير متكافئين ماديا ، فتقدم البلاد الغربية في النواحي التكنولوجية ، منحها تفوقا لم يستطع العالم الاسلامى الصمود امامه ، فتهاوت أقطاره - الواحد تلو الآخر - أمام جنود الاستعمار الأوروبى . ولم يات منتصف القرن التاسع عشر الا والعالم الاسلامى كله خاضع - بشكل أو بآخر - لسيطرة القوى الاستعمارية الأوروبية .

كانت البرتغال عمى الدولة الأوروبية الأولى ، التي عيّدت طريق الاستعمار الغربى المسيحى فى وسط آسيا وشرقها ، فى الهند وى اندونيسيا فى سنة ١٥١١ م مستخدمة فى ذلك اسطولها البحرى ، الذى كان يضرب به القتل . حتى أن ملكها حصل من البابا اسكندر ، على صك رسمى « بأن البرتغال » سيدة بحار العرب والعجم والهند

والحبشة ، لكن البرتغال فقدت استقلالها ، بإعلان ملك اسبانيا ضمها الى بلاده في عام ١٥٨٠ م ، الا ان القوى الاستعمارية الأخرى - الانجليزية ، والفرنسية ، والهولندية ، والامانية ، والروسية - سارت على الدرب ، مكونت الشركات ، التي مهدت الطريق للغزو العسكري والفكري ، يعد السيطرة على الموارد الاقتصادية ، بدأ النشاط المحموم لهذه الشركات في القرن السابع عشر (١) ولم يمض قرن ونصف حتى تمكن الغرب المسيحي من السيطرة انامة على المسلمين في وسط آسيا وشرقها ، وأقام له محاور رئيسية في افريقيا كما تمكن من بسط نفوذه في قلب العالم الاسلامي ومركزه الرسمي وهو منطقة الشرق الاوسط ، وبذلك طرد العالم الاسلامي من الشرق والغرب وسلط الايبه وديانسه على بقية المجتمعات الاسلامية بين عشرين الطرفين حتى وصل نفوذه الى بلاط الباب العالي في تركيا ، وبلاط الدولة الصفوية في ايران . . . فوعنت التجمعات الاسلامية ، وانحل عقدما فسقط بعضها اثر بعض تحت نفوذ المستعمر الغربي المسيحي ، ولم تنله الحرب العالمية الاولى الا والعالم الاسلامي كله تحت نفوذ هذا المستعمر .

٥٥

ادرك الخلفاء في تركيا خطر التفوق الحضاري الغربي على الخلافة العثمانية فحاولوا الدفاع عنها بالدعوة الى حركة اصلاحية ، نهىي الشعب لمقاومة هذا الغزو الثقافي والفكري ، وتعدده اعدادا حديثا للكفاح المسلح ضد الهجوم الغربي لكنهم وقعوا في اخطاء، تجلت بالقضاء على سلطانهم ، وضياع احدى الدول الاسلامية

---

(١) احتلت هولندا جزر الهند الشرقية ( اندونيسيا ) في بداية القرن السابع عشر الميلادي عن طريق شركة الهند الهولندية التي تأسست عام ١٦٠٢ م .



الكبرى (١) فقد استعان الخلفاء بحمراء عربيين لكي يقيموا لأنفسهم  
حصونا ، تحميهم من النفوذ ، فانطبق عليهم قول الشاعر :  
والستجير بعمره عند كربته كالستجير من الرمضاء بالنار

وفي الوقت نفسه حاول الخلفاء كسب صداقة كل القوى  
المتصارعة على بسط نفوذها في أنحاء الدولة ، فمنحوا كل الامتيازات  
الممكنة للدول الاجنبية ومن بينها - على سبيل المثال - السماح  
لكل المذاهب بحرية ممارسة طقوسها وعبادتها ، كما أعطوا لكل  
طائفة الحق في انشاء مدارس خاصة بها فانهارت بذلك الجسور  
الاخيرة التي حمت المملكة العثمانية من الطوفان الثقافي ، الذي  
نبت في الغرب .

وتحت ضغط القوى الغربية اندفع دائير الغرب الى أبعد من  
هذا ، إذ حصل لبنان على نظام اداري جديد ، منح المسيحيين امتيازات  
جعلت كفتهم راجحة على كفة غيرهم . كذلك منحت المناطق الواقعة  
تحت النفوذ الفرنسي حكما ذاتيا ، وتبع ذلك قيام هيئة مالية من  
الفرنسيين والانجليز بتأسيس « بنك الامبراطورية العثمانية »  
... الخ

وهكذا تسلل النفوذ الغربي في جميع أجهزة الدولة ، واقطارها  
المختلفة حتى تم له السيطرة عليها كلها في النصف الثاني من القرن  
التاسع عشر (٢) .

---

(١) وجدت آنذاك دولتان أخريتان هما الدولة الصغفوية  
في ايران والدولة التيمورية في الهند .  
(٢) راجع كتاب : « الاسلام قوة الغد العالمية » لب . باول  
شميتز ، ترجمة : الدكتور محمد شامة

واتخذ النفوذ الغربي في إيران خطا مشابها لمخطئه الذي نفذه في تركيا . فقد تعرضت الدولة الاسلامية هناك لضغط روسي من الشمال . وقابله ضغط انجليزي من الجنوب ، فبدأ الخطر واضحا من الناحيتين مما جعل الشاه ناصر الدين يحاول وضع خطة اصلاح تمكنه من التصدي لهذا الخطر المائل امام عينيه كالسبح المرجب . وفتح بذلك طريقا للعقل الأوروبي كما كان الحال في تركيا ، وتم يستطع التخلص منه بعد ذلك ، ثم سارت الامور على النحو الذي سارت عليه في تركيا ، فواجه الشعب القوى الغربية والانتاج الغربي ، واستمرت المواجهة زمنا طويلا حتى خضعت هذه الدولة الاسلامية للنفوذ الانجليزي والروسي ، اذ اذيع في طهران في ٣١ اغسطس ١٩٠٧ نصوص المعاهدة التي عقدت بين روسيا وانجلترا وكان من بين بنودها :

تقسيم ايران الى منطقة نفوذ روسية ، وأخرى انجليزية .  
وبذلك سقطت تلك المملكة الاسلامية بين برلن الاستعمار .

اما في الهند ، فقد بدأ العد التنازلي لقوة الدولة الاسلامية بعد موت الامبراطور ، اورنجزيب ، الذي اخضع الهند كلها للحكم الاسلامي . اذ جاء بعده خلفاء ضعاف ، لم يكن لهم من الحزم والقوة ما يمكنهم من ضبط الامور في هذه المملكة المترامية الأطراف ، فأخذت الدولة تتهاوى ، وتتفتت شيئا فشيئا ، واستغل الامراء حسد الفرصة ، فعملوا على استقلال اماراتهم عن السلطة المركزية .

ولم تقتصر هذه الظاهرة على الامراء المسلمين فقط ، بل عيشت نظروف لبعض الامراء الهنودوسى والمسيحيين ليجمعوا الجيوش . ويشنوا الحروب على الدولة الاسلامية ، ويقتطعوا لهم من جسيمها الكبير ولايات يحكمونها . . . فاندحر نفوذ السلطة المركزية وانكمش

حتى أصبحت ميكلا بدون روح ، وشكلا لا حياة فيه . . . ومن خلال هذا التفتت وضياح هيبة السلطنة الاسلامية تسلس النفوذ العربي عن طريق شركة الهند الشرقية الانجليزية ، والشركات الهولندية والفرنسية (١) التي تصارعت في بادى الامر على بسط نفوذها على الشركة الاسلامية الواسعة . . . الى ان انفردت شركة الهند الانجليزية بالسيطرة ، بعد ما قضت على الشركات الاخرى المنافسة لها فخلت الساحة لها لتنفذ خططها الاستعمارية التي استهدفت السيطرة الكاملة - اقتصاديا وعسكريا وسياسيا - على الهند كلها ، لكن المسلمين قاوموها مقاومة عنيفة ، بلغت في

---

(١) بدأت هذه الشركات عملها التجارى في أرض الهند ، ابان قوة الحكم الاسلامى وازدهاره . . . وكانت تسعى ما أمكنها السعى لتحتل بالمقام الاول في الحصول على مركز تجارى يتيح لها مكسبا تجاريا في محصولات الهند التي كانت تصدرها الى أوروبا ، وكان الحكام في أوج قوتهم ، لا ينظرون الى هؤلاء الا نظرتهم لتاجر يريد أن يكسب مالا من تجارته ، لا أن يكسب أرضا وييسط نفوذا . . . ولذلك تركوهم يتاجرون ، وربما منحوم بعض التسهيلات التجارية .

ولكن هؤلاء ، كانوا كالمربي الذي لا ينظر الى فائدته الربويه . . . بغد ما يرمى من بعيد للحصول على الأرض والاستيلاء عليها . . . وكانت هذه الشركات تعمل ، ومن ورائها حكوماتها التي تسعى الى الفوسع الاستعماري ، ووانتها الفرصة حين ضعف الحكم الاسلامى وتفتت وحدة البلاد وانشغالها بحرب بعضها بعضا ، فبدأت في دور جديد ، وهو دور بسط النفوذ على البلاد وأخذت هذه الشركات تتصارع على اللقمة الحسمة الكبيرة التي أمامها .

بعض مراحلها حد الاستيلاك المسلح . فقد قام الامر سراج الدين  
 بالهجوم المسلح على حصونهم و البنغال وكاد ان يقضى عليهم .  
 لكنه فشل بسبب خيانة بعض قواده فقبض عليه وأعدم .

اتخذ الانجليز من هذه الاحداث تكةً لاحكام قبضتهم على  
 البنغال ثم اتخذوها قاعدة للسيطرة على البلاد كلها .

لم ييأس المسلمون . فحاول حيدر على القضاء على الانجليز  
 في الجنوب مستغلا النزاع القائم بينهم وبين الفرنسيين . ثم سار  
 ابنه على دربه . فحمل السلاح . لكنه خر صريعا في المعركة . فظن  
 الانجليز ان الحق قد خلا لهم فبدأوا ينفذون الخطط للقضاء على  
 البقية الباقية من المقاومة الاسلامية .

وضحت صورة الاستعمار البغيض امام عيون المسلمين .  
 وادركوا ابعاد الشر القادم من الغرب للقضاء على مبادئهم  
 ومقاليدهم الدينية . كي يتمكن من استغلال مواردهم  
 البشرية والمادية . فاحسوا بالكابوس الاستعماري يثقل كاهلهم .  
 وشعروا بالاغلال التي قيدتهم بها جيوش المستعمر . فامتلأت  
 نفوسهم غيظا وافتدتهم حفدا . واستد غليان الدم في عروقهم .  
 فدفعهم الى ثورة جامحة في عام ١٢٧٤ هـ - ١٨٥٧ م . لكن ثورتها  
 كان متأخرا . فقد جاءت بعد ان بسط الانجليز نفوذهم على كل البلاد  
 تقريبا . فشلت . وتحمل المسلمون وخدمهم نتائج هذا الفشل امام  
 العدو المنتصر . فمات بهم الانجليز شر ممات . وعملوا على اذلالهم  
 ومطاردتهم . والقضاء على كل حيوية فيهم . فقبضوا على الاميراطور  
 المسلم « سراج الدين ابو ظفر شاه » الذي كان يهدف الثوار الى  
 ارجاع سلطته ونفوذه اليهم . فحاكموه . وحكموا عليه بالاعدام .  
 ثم خففوا الحكم عليه بنفيه الى « رانجون » عاصمة بورما . وظل  
 حبيسا هناك حتى لقي ربه ودفن بأرضها . ثم أعلنت الملكة



فيكتوريا ضم الهند لمستعمرات التاج البريطاني . فتتباينت  
الفكرات على المسلمين بنمكين المستعمر . حيث اقام نظاما لحكم  
البلاد ، يعتمد على :

- مثبات من الخبراء يوازرهم الجيش .
- وعلى اصطفاء عناصر ندين له بالولاة السياسى والفكرى .
- وعلى استبعاد كل من فى قلبه عنقال ذرة من حمية للوطن او  
الدين عن مناصب الحكم والوظائف العامة .
- تم اقام نظاما للتعلم لا يوافق طبيعة المسلمين . فابعدوهم  
بذلك عن مجال الثقافة .

ويعتبر هذا التاريخ - وهو منتصف القرن التاسع عشر  
الميلادى - ذروة - النفوذ الاستعماري فى العالم الاسلامى .



ثانيا - الوضع الاستراتيجى للعالم الاسلامى :

( ا ) فهو يتحكم فى حركة المواصلات العالمية : برية ، وبحرية ،  
وجوية :

• ادركت القوى الاستعمارية ذلك ، فحاولت السيطرة عليه  
لتضمن سلامة تجارتها ، وقد عبر • باول شمتر • فى كتابه •  
الاسلام قوة النقد العالمية • عن أهمية منطقة العالم الاسلامى لأوروبا  
عقال : • عرفت أهمية العالم الاسلامى على مدى القرون ، ذلك  
انه كان يمثل جزءا من شبكة خطوط المواصلات فى العالم ، فمن  
المعروف ان الشرق - قبل ظهور الاسلام - احتل مركزا عاما ، لان  
الطرق العالمية الكبرى من الغرب الى الشرق الاقصى ، كانت تمر  
خلال ارضه ، فكان يسيطر على جزء كبير منها ، وهو الممتد من  
شمال افريقيا وغرب آسيا الى الشرق الاقصى ، وكان شكل الاوضاع  
السياسية فى هذه المنطقة يلعب دورا كبيرا فى الاحداث والتجارة  
العالمية .

« إن أهمية المنطقة الإسلامية ، في نظام التجارة العالمية ، في ذلك الوقت كانت واضحة ، وحقيقة واضحة ، فحكامها كانوا يستطيعون التحكم في الأسفار عن طريق رفع رسوم المرور والجمارك ، بل كان في مقدورهم قطع الطريق كله ، إذا بدا لهم أن ذلك فيه فائدة لهم ، أو رغبوا فيه اعتمادا على أي سبب . ومن هنا ظهرت الإطماع في السيطرة على هذه المنطقة ، وصاحب ذلك تقييم قوى الشرق والغرب ، الذي ظهر واضحا في النزاع حول المراكز التجارية . في أرمينية ، وبلاد ما وراء النهرين ، فقد نشط الصدام لأول مرة بين الدولة الرومانية القديمة - وفسما بعد بين الدولة البيزنطية - وبين العناصر المغولية الزرادشتية . وقد لعب هذا دورا كبيرا في تحديد مصير العالم الغربي لعدة قرون .

« إن دور الشرق الأدنى كان مفهوما ، وأهميته ثابتة ، فهو الوسيط بين الشرق الأقصى ، وأوروبا في التجارة ، يلعب دور البائع والمشتري ومن خلال ذلك يسوق منتجاته الخاصة ، إذ أن مراكز التبادل التجاري تقع منذ قرون عدة على شواطئ البحر الأبيض المتوسط في بلاد الشرق .

« ولم يتغير شيء من هذا بعد ظهور الإسلام فبعد أن غشى الإسلام على الخلاف بين القبائل العربية ، وغرس الروح الدينية الإسلامية عند العرب ، استطاع هؤلاء أن يفضوا على المملكتين اللتين كانتا تتسمان تلك المنطقة الآسيوية سيطرت المسيحية البيزنطية في الشمال الغربي والفارسية الزرادشتية في الشمال الشرقي ، وطبعت تلك البلاد بطابع إسلامي . ثم زحف الفتح الإسلامي إلى شمال إفريقيا ، وتعداه إلى إسبانيا ، وكان علم الإسلام يرفرف على كل تلك المناطق في عام ٧٥٠م وأصبح قدح الزند في المجالات السياسية والتجارية في الشرق الأدنى في يد الدولة الإسلامية ، التي مدت سلطانها على المنطقة جغرافيا وثقافيا .

« لم يتخل الشرق في عصر صدر الاسلام عن دوره كوسيط بين البلاد الغربية والشرق الاقصى ، فسارعت البلاد الغربية الى ملامه نفسها مع مصالح تجارة الشرق ، وبذلك استمرت تجارة بلاد التناطلي ، الشرقي للبحر الابيض المتوسط في الازدهار .

« ولكن تغير هذا الوضع عندما قامت الحروب الصليبية . . . التي لم يحركها الاحتياج الاقتصادي للبلاد الغربية ، ولم تحركها الرغبة في أن توضع تجارة الشرق في أيدي البلاد الغربية ، بقدر ما حركتها الفكرة الدينية ، التي هيأت لصدام الدول الغربية بالشرق .

« أسست أول مستعمرة مسيحية غربية في بلاد الشرق في زمن الحروب الصليبية ، ولم يهتم الغازون في هذه المستعمرات بالفاحية الدينية ، بل مارسوا مصالح تجارية . كهدف أول ، ولم يكن تأسيس الدول في تلك المنطقة سوى محاولة جديدة لممارسة توسيع سيطرة الغرب على بلاد الشرق فقد حمل الصليبيون معهم نكرة مدروسة ، ضافوها : أن أهمية السيطرة على منطقة غرب آسيا لا يمكن أن يقدر !! اذ هي نقطة اتصال بين الغرب والشرق الاقصى . وثبتت صحة هذه الفكرة لحكام تلك المنطقة منذ قرون ، وما زالت حتى اليوم . .

« لم تفقد المنطقة هذه المكانة في عصر الطيران ، بل ازدادت أهميتها جاء ذلك في تعبير « باول سمتر » عن الوضع الاستراتيجي للعالم الاسلامي بعد اختراع الطائرات ، حيث يقول :

« لم يحتل للعالم الاسلامي مكانا اسمي . ولا أوضح أهمية ، ولا أحسن صنعا مما ناله ، عندما أقيمت شبكة مواصلات جوية من ( ٣ - أثر البيئة )

أوروبا إلى الشرق الأقصى ومنها إلى وسط وجنوب أفريقيا ، غدت احتلت مصر المكان الأول في عالم المواصلات الجوية ، والنقل بالطائرات ، لأنها نقطة ربط في هذا المجال ولم يزل بعد أي مكان في العالم مثل هذه الدرجة . شركات الطيران الانجليزية والفرنسية والالمانية والهولندية واليطالية ، مهدت الطريق جوا في سني ما بعد الحرب عبر الشرق الأدنى ، وربطت أوروبا بالشرق والجنوب مارة بهذه المنطقة . وأصبحت البلاد الاسلامية ، ركائز الطريق الجوي إلى الهند وأستراليا والشرق الأقصى وجنوب أفريقيا

«لم - ولن - تفقد المنطقة أهميتها بالنسبة للتجارة وحركة المواصلات العالمية وبالتالي كانت - وستظل - حيانها كلها صراعا مع الطامعين فيها ، وسوف نشهد المنطقة صراعا مزا بين الشرق والغرب ، صراعا مثل الصراع الذي دار عبر العصور الماضية ، صراعا لي بهذا مادام للمنطقة هذا الوضع الاستراتيجي ، مادام الاسلام حيا فيها . »

### (ب) ويملك قوى بشرية ومادية هائلة :

ومى من العناصر الرئيسية في الصراع الدولي ، اذ ترجح كفة الدولة بمقدار ما تملك من هذه القوى . لو أحسنت استخدامها ،

فطن الاستعمار الغربي لهذه القوى ، التي يملكها العالم الاسلامي ، فطفق يرسم خطته على أساس عدم تمكين المسلمين من الاستفادة من هذه القوى ، ورغم عكوفه على هذا العمل ، منذ انشأه بالعالم الاسلامي ، وعدم توانيه لحظة عن التفكير في اضعاف المسلمين من هذا الجانب ، فما غنى ، المفكرون في الغرب يحذرون ويفقدون قوادعهم وساستهم من عدم توازن القوى بين الشرق والغرب ، لو خلى بين المسلمين وبين الاستفادة من هذه القوى التي يملكونها . يقول : « باول شمتز » :



« تشير ظاهرة نمو السكان في اقطار الشرق الاسلامى الى احتمال وقوع هزة في ميزان القوى بين الشرق والغرب » فقد دلت الدراسات على ان لدى سكان هذه المنطقة خصوبة بشرية ، تفوق نسبتها ما لدى الشعوب الأوروبية ، وسوف تمكن الزيادة في الانتاج البشرى الشرق على نقل السلطة في مدة لا تتجاوز بضعة عقود - أى عشرات قليلة من السنين - وسوف ينجح في ذلك نجاحا لا نرى من أبعاده اليوم الا النذر اليسير » .

ويعد أن يبين مقدار نمو السكان في مصر - كمثال - كما تشير بذلك أرقام الاحصاء في أعوام ١٨٨٧ و ١٨٩٧ و ١٩٠٧ و ١٩٢٧ و ١٩٣٧ يقول :

بينما يعكف الباحثون في أوروبا على دراسة الظواهر ، التى «سير الى الانخفاض المستمر في عدد السكان ، ويحسبوا لولون تديدد التناؤم » الذى سببته نتائج دراسات احصائيات تعداد السكان حيث تبين :

مضى تخلفى الامة !!

بينما الحال هكذا في أوروبا ، يفتر السياسى المصرى المهتم بالمشاكل السكانية ، أن تعداد مصر - اذا استمر معدل هذه الزيادة في الاضطراب - سيبلغ بعد ٦٠ عاما حوالى ٣٢ مليوناً (١) أى أن العدد سيكون ضعف العدد الحالى - حسب احصائية ١٩٢٧ م -

---

(١) تجاوز التعداد هذا التقدير في مدى أربعين عاما ، اذ يبلغ عدد السكان الآن طبقا للبيانات الرسمية ٤٠ مليوناً .

وبعد مائة سنة سيزداد سكان وادي النيل - أي مصر - إلى ٤٩٦ مليون نسمة وبعد ٣٠٠ سنة ، حوالي ٥٠٠ مليوناً ، وبعد ٤٢٥ سنة ، حوالي ٢ ملياراً - أي أنه سيكون في مصر أعداد من البشر تساوي ما هو موجود الآن ( في سنة ١٩٣٩ ) على ظهر الأرض - وسيصبح في مصر في مدى ٩٦٨ سنة - أي بعد أقل من ألف عام يقلل - أمة تعددها ٩٧٣ ملياراً من البشر ، أي أنها سوف تنمو بشريا إلى درجة لا تمكنها فقط من استعمار الكرة الأرضية ، بل من استعمار أعداد من الكواكب السيارة الأخرى .

ومهما كان الأمر ، فإن الـ ٤٩ مليوناً من البشر ، المتوقع وجودها - طبقاً لهذا الحساب - في مصر عام ٢٠٣٧ م تدعو إلى التفكير العميق والتخطيط البعيد المدى .

« إن الاضطراب في زيادة عدد السكان يخلق مشاكل لا حصر لها ، ويبدؤ بذور القلق في مسارات السياسة الدولية .. ولا يقتصر على مصر وحدها بل سيوجد أيضاً - مع اختلاف بسيط - في الشرق الاسلامي كله ، ويتوقع المراقبون أن تكون هذه الظاهرة إحدى نقاط النزاع بين الشرق والغرب وهذا أمر على جانب كبير من الأهمية ، فمائة عام - وهو الزمن الذي قدر لبلوغ تعداد سكان مصر ٤٩ مليوناً - زمن قصير في حياة الشعوب وفي سجل التاريخ » .

ثم تتبع نسبة الزيادة في تركيا وفلسطين وفي الجزائر وتونس وعقب عليها قائلًا :

لو طبقنا ما توصلت إليه دراسة الاحصاءات السكانية في مصر وتركيا على جميع مناطق العالم الاسلامي التي توجد فيها أنظمة حديثة لتعداد السكان - إذ يعتمد في احصاء السكان فيها

على التقدير ، ويمكن الاعتماد على نتائجها ، لأن غالبا ما يوصل إلى حقائق مؤكدة - لظهرت لنا ابعاد مؤثرات القوى البشرية ، غلبت عليهم الى حد بعيد في بناء قوة عالمية .

لقد دفع الصراع بين القوى الأوروبية ، للعظمى ، وبين الشعوب الاسلامية - وهو صراع نتج عن اتجاه أوروبا الى التوسع الاستعماري - الى ضرورة القيام بدراسات مقارنة ، في المجال السكاني ، للوقوف على اتجاه ميزان القوى - من الناحية البشرية - بين الطرفين ، وتوصل الباحثون الى نتيجة ، تدعو الى التفكير والتامل فقد اتفقوا - بناء على أرقام توصلوا اليها في عام ١٩٣١ - أن بين كل ٣١٤ من البالغين في أوروبا (١) يوجد شاب واحد تحت الخامسة عشرة ، أما في مصر وتركيا وإيران فقد أثبتت الإحصاءات التي أجريت في نفس العام ، أن فيها شابا تحت الخامسة عشرة بين كل ١٣٨ من البالغين ، وطبقا لهذه النتيجة ، التي تبين اختلاف نسبة الأطفال ، الى البالغين في أوروبا والعالم الاسلامي ، يمكن للمرء أن يتنبأ ، بأن تفوق الانجاب البشري في المنطقة الاسلامية ، سوف يؤثر تأثيرا بالغاً على العلاقة بين الشرق والغرب في عشرات السنين القادمة .

لا يمكن أن يغيب عن المرء - اذا قارنا أسباب القوة بين

---

(١) نشرت الصحف في ١٩٧٨/١٢/٢٠ أن الرئيس الفرنسي جيسكار ديستان ، ناصد الشعب الفرنسي العمل على كثرة النسل ، وحفزهم من مغبة الاقلال من الانجاب لان المؤشرات تدل على ان الشعب الفرنسي في اقلال مضطرد ( لنظر جريدة الاخبار انقاهرية في ١٩٧٨/١٢/٢١ ) .

الشرق والغرب في الوقت الحاضر - أنه سيتضاعف عدد السكان في العالم الإسلامي في مدى عشرات قليلة من السنين ، ولا ينبغي أن ينسى ، أن الداعين إلى الأخذ بأسباب نمو القوة البشرية - عن طريق تشجيع النسل ومحاربة الدعوة الداعية إلى تحديد - يزدون يوما بعد يوم ، وأن نفوق أوروبا في التكنولوجيا على الشرق ، ينقص عاما بعد عام ، لأن الشعوب الإسلامية اتجهت إلى تطوير نفسها وبناء حضارتها الحديثة بالوسائل الهندسية الأوروبية ، وتكرس جهودها اليوم لزيادة إنتاجها ، يساعدها في ذلك وجود المواد الخام بكثرة في بلادها ، ملو رقب المرء ما يملك الشرق من أسباب القوة ، لجدا له أن الخصوبة البشرية ، التي تسبب النمو السريع في زيادة عدد السكان ، تأخذ مكانا لا يستطيع المرء اغفاله بسهولة ، فكترة السكان لها آثارها البعيدة ، لأنها - وإن كانت أبعدها لا نرى بالعين المجردة في الوقت الحاضر - ستحدد بطريقة حاسمة المستقبل السياسي للعالم الإسلامي ، وستكون من أهم العوامل التي يركز عليها أمنه وسلامته .. (١) .

.. كانت - ولا تزال وستظل - الخصوبة البشرية في منطقة العالم الإسلامي سببا في أصابة الأوروبيين بالقلق والخوف على وضعهم الدولي فأنبت دعائهم في المجتمعات الإسلامية ، يروجون لتحديد النسل زاعمين أن كثرة الانجساب من علامات التخلف الحضاري ، وأن كثرة الاولاد تجلب الفقر وتورث النعاسة ، وأن الزيادة المطردة في تعداد الأمة تبتلع الموارد المادية للدولة ، إلى درجة العجز والافلاس ، وهم يعلمون تماما أن ثروة العالم الإسلامي أو تركت له ، لزادت عن حاجته ، ولاستطاع بها - مع إمكاناته البشرية الهائلة - أن يبني قوة عالمية :

(١) راجع كتاب ، الإسلام قوة الغد العالمية ، الباب الرابع .



« أثبتت الأبحاث ، التي أجريت بعد اكتشاف البترول في  
 غرب آسيا ان وجوده لا ينحصر بأى حال من الاحوال . في حقول  
 جنوب ايران وبلاد ما وراء النهرين . وأكدت وجود حزام عريض  
 من البترول ، يمتد من الشاطئ الغربى للبحر الاحمر حتى الخليج  
 الفارسى . ومنه عبر حقول الزيت في جنوب ايران ، مجاورا شمال  
 شرق ايران - وكذا شماله - الى أفغانستان . وتشير الاحتمالات  
 انه لم يكنشف حتى الآن من هذا الحزام البترولى سوى جزء صغير  
 جدا . وعليه فلم تستوعب بعد الثروة البترولية في العالم الاسلامى .  
 تلك الثروة التى تدمر . كما تدمر دوله بأسباب الثروة وبمفومات  
 الاعتماد على النفس . والتحرر من النفوذ الاجنبى . وليس من  
 السهل ان يدرك المرء في الوقت الحالى ما يحدثه البترول من تغيرات  
 سياسية واجتماعية في هذه المنطقة من العالم . »

ولذا فقد تكاثرت عليها القوى الاستعمارية ، لتسلب منها هذه  
 الثروة . وكان عجزها شرسا لان حياتها مترقفة على إمكانية  
 السيطرة على منابع البترول - وغيره من المواد الخام . التى يملكها  
 العالم الاسلامى - فهو عصب الثورة الصناعية التى تقوم عليها  
 النهضة الأوروبية .

« شهد الشرق الاسلامى عجزا أوروبا ، اقتضت عليه القوى  
 الأوروبية دياره . تخضع لها ، واعطاه امتيازات ، فتحوط المنطقة  
 الاسلامية الى ساحة للبحث الشامل والمنظم للتوصل الى امكانية  
 تطويرها واستخراج المواد الخام من ارضها . لان النهضة الصناعية  
 فى أوروبا تفتقر اليها لذلك انطلق الأوروبيون يبحثون عن المواد الخام  
 فى أرض الشرق الاسلامى ليغذوا بها مصانع أوروبا الجائعة . اتخذوا  
 هذه المنطقة كلاً مباحاً لأن المبادئ الأساسية فى الاقتصاد العالمى ،  
 جوزت آنذاك . أن تعطى البلاد المستعمرة - سواء كان استعمارها

كلها أم جزئيا والمنطقة الاسلامية كانت موزعة بين حدين النوعين من الاستعمار - ما تملكه من المواد الخام لدول غرب ووسط أوروبا ، التي قطعت شوطا كبيرا في تصنيعها وتقوم هذه الدول بتصنيع ما يورد لها ثم تغمر به اسواق الكرة الارضية .

لم تهدأ مقاومة المسلمين للاستعمار الغربى ، حتى اضطر الى تغيير استراتيجيته . فاعترف بالاستقلال السياسى لاقطار الاسلامية ولكنه ظل مسيطرا على المجالات الاقتصادية .

يقول بعض المهتمين بشئون الشرق الاسلامى :

« تشير سيطرة شركات البترول الكبرى ، وتسليطها في العالم الاسلامى على ان الاستقلال السياسى لهذه المنطقة . لن يكن سوى واجهة خداعة ، اذ تدل الحقائق على ان منطقة الشرق الاسلامى لن تخرج خروجا كليا من دائرة الرقابة الأوروبية ، وان ما يبدو في المنطقة من ظواهر يعتقد البعض انها مقدمات لقوة نامية ، ليس الا احتمالات لم تخرج الى الواقع بعد ، ويحتمل عدم وجودها ، ويستدلون على ذلك بان استعمار الدولار يحل - بسرعة متزايدة - محل استعمار الارض . وان الرقابة السياسية استبدلت بالرقابة الاقتصادية ، وبذلك رسخت سيادة الغرب على الشرق - وان تغيرت صورتها - ولم تضعف ، ولم تهن وسوف تمتد زمنا طويلا ، »

استعادت الدول الاسلامية سيطرتها على منابع البترول ، ولكن المفكرين الغربيين ما زالوا يطلقون الصيحة تلو الاخرى ، من مغبة انفراد الدول الاسلامية في التحكم في مصادر الطاقة ، ويخضعون سياستهم الى اتخاذ الوسائل ، ضد ما يمكن ان يحدثه هذا الوضع من تهديد للمصالح الغربية .

• ان تصفية امتيازات البترول في غرب آسيا وانتقال تركة الاستعمار الدولارى ، الى الدول الاسلامية تدبرها ذاتيا ، بحيث لا تحتاج الى مساعدة اجنبية . وشرحيه انتاجها ، اى انها تقتصر فى هذه التركة دون الخسوع لادارة اجنبية .• سوف يحدث هذا فى الوقت الذى يصبح فيه - طبقا لما اثبتته الابحاث الدقيقة - مخزون البترول الامريكى ضعيفا ويوم يقل الانتاج الغزير لهذا البترول ( اى الامريكى ) الذى يغزو اسواق العالم اليوم ( اى فى عام ١٩٣٩ م ) . سيحتل البترول الاسلامى ( حسب التقديرات المتحطة جدا ) - بعد اكتشاف باقى حقول الحزام البترولى فى غرب آسيا - مركزا دوليا عاما ، وسيصل انتاجه رقما لم يعرف بعد ، ولا يستطيع الخبراء التكهّن به لانه يفوق كل تقدير .• يجب الا نغفل عن دلالة هذا للتغيير وتأثيره اقتصاديا فى مركز العالم الاسلامى على مسرح التبادل التجارى العالمى ، •

لم ينهب الاستعمار من ثروات العالم الاسلامى البترول فقط ، بل كل انواع المواد الخام من حديد وفحم وقطن .• و .• الخ .•

وكانت - ولا تزال - هذه المواد مصدر اغراء ، دفع القوى الغربية الى الاستعمار السافر للعالم الاسلامى . ودفع - ولا زال يدفع - القوى الشيوعية الى التغلغل داخل المجتمعات الاسلامية . لفرض سيطرتها المتقدمة على مراكز الحكم والتوجيه •

دفع :

- الاضطراب المستمر فى زيادة عدد السكان بين المسلمين ،

- والثروة الوفيرة ، التي يكشف عنها البحث كل يوم في اراضيهم .

- والركز الاستراتيجي المرمود في المواصلات العالمية .

الاستعمار الغربي الى تن الحرب على العالم الاسلامي في جميع النواحي :

- عسكرية ، وسياسية ، واقتصادية ، وفكرية - كي يسيطر عليه وبخضعة لرفاقته . وسمل الصراع جميع اقطاره . فقد كان الاستعمار يعتبر انتفاضة المسلمين في الهند تهديد مركزه في الشرق الاوسط . وكان يرى ان نجاح شعوب الشرق الاوسط في الحصول على الحرية ، يهز الارض من تحت اقدامه في الهند والمناطق الاسلامية الاخرى . لذا فقد شملت خطته اضعاف المسلمين في كل الاقطار ، واستعمال كل الاسلحة للوصول الى هذا الهدف ، استخدم القوة العسكرية ، وباتمر الحصار الاقتصادي وتدخل في البرامج التعليمية ، وشجع اناسا على نشر دعوات في المجال الديني ، لتخريب العقيدة الاسلامية . بغية ابعاد المسلمين عنها ، لانها مصدر قوتهم .



ثالثا - رفض المسلمين السيطرة الاجنبية :

تشارك جميع الشعوب في غريزة رفض السيطرة الأجنبية ، ومقاومة النفوذ الاجنبي . ولكن درجات المقاومة ، وحدتها تختلف من شعب لآخر .



فمن الشعوب من يتخذ المقاومة السلبية طريقا للخلاص من قبضة الأجنبي .

ومنهما من لا تستمر مقاومته الايجابية زمنا طويلا ، ثم يخضع ، وينفذ ما يرسمه له السادة الجدد . بل ويقلدهم في مختلف نواحي حياتهم الثقافية والاجتماعية . مذبوب شخصيته في تقاليد المستعمرين الجدد .

ومنهما من لا تهدأ مقاومته ، وإن طال الزمن ، وأشد الدهر ، بمقاومة المستعمر على أرضه ، واشتد طغيان القوة الغاشية لبلده . وإن سكنت مقاومته ، غلبت الا لتضيق جراحه . ونجميع قواه ، لمدى جولة جديدة ضد من سلبه حريته وأرضه واستحل حرمانه وشروائه ، وخطط لتخريب أفكاره ، وتوهين عقيدته .

وجد هذا النوع من الشعوب في جميع الحقب التاريخية ، ولكن الشعوب الاسلامية ضربت المثل الاعلى في رفض السيطرة الاجنبية ، اذ لا يوجد في تاريخ البشرية ، شعب تكاليف عليه القوى العظمى في العالم ولم تتفق فيما بينها على شيء مثل اتفاقها على القضاء على عقيدة المسلمين . ومع ذلك أبى المسلمون الاستكانة للهزيمة ، والاعتراف للغالب بأي حق في بلادهم . فاستمروا في كفاحهم غرورا يصارعون العدو مرة ، ويصرعهم اخرى ، وكلما ظن المستعمر ان المساحة قد خلت من المقاومة اندلعت من بين القوى المتهاكة تحت سنايك خياله ، تيران تقض مصيعة وتجدد أحلامه . وتؤكد له من جديد ، ان الصراع بين المسلمين والمستعمرين - وبتعديل أدق بين المسلمين وبين من لا يدين بدينهم من المستعمرين الفاسقين - لن ينتهي بهزيمة المسلمين في معركة لانهم لا يرضخون للهزيمة أبدا والاحداث في المنطقة الاسلامية تؤكد هذا ، يقول شمرز :

« .. وكان زحف القوات الأوروبية على فارس متما لعلية اخضاع

المراد الاسلامي وقضا، على حريته السياسية ، فتهاوى هذا التمثال العملاق ، وخفت صوته .. فاعتقدت الدول الغربية انها وضعت بهما على عزيمة خالصة لها ، لا ينازعها احد في التصرف فيها ، ولا يقف في طريقها ادنى العقبات ، بقيادة شعوب المنطقة ستكون سهلة - لان القوى الوطنية ماتت . أو في طريقها - واستغلالها مباح ، فلن يستطيع الموتى دفاعا ، ولا احتجاجا .. ثم بدأت الدول الغربية توزع الغنائم ، وفي هذه اللحظة بدأ في الافق : ان القبود القوي كبشت الشرق عشرات السفن ، قد تمزقت ، نتيجة تفاعل قوى كامنة في طبيعة هذه الشعوب لا يعرفها الا من درس عقائدها ، واخلاقها ، وتاريخها ، وغاص في مجتمعاتها بحثا عن هذا الابداء الشهيم . وهذا الرغز للسيطرة مهما كانت قوة المستعمر وجبروته :

ارتفعت اصوات هذه القوى ، وتساوت مع الدول الغربية ، المدعومة بالسلاح ، وفي دعوتها ارث هذه المملكة - اى المملكة العثمانية - التي تهاوت في الحرب العالمية ، وتطاوت هذه القوى غانزت لنفسها حق المساواة مع القوى الاستعمارية في امتلاك هذه التركة ، التي خلفتها الحرب العالمية ( الاولى ) .

لقد خرج من اوديه الانقاض التي خلفتها الحرب العالمية في منطقة العالم الاسلامي ، شبح تمطط - كما تقول الاسطورة : مات الطائر وحرق .. ثم .. خرج من القراب ، الذي خلفته النار طائر اسرع من الذي مات - في كل مكان ، بانذرا بخور الثورة ضد الاطماع الاستعمارية ، داعيا الى الاحتماء بالعقيدة ، وتجميع المسلمين حول ايدولوجية اسلامية جديدة ، لمواجهة الخطر القادم من الغرب ، وللقضاء على دعوى الدول الغربية ، بأن لها حقسا في ارث هذه التركة ، التي خلفتها السلطنة الاسلامية في تركيا .

تد تدبو الخلافات على سطح العالم الاسلامي ، اذا ما سيطرت  
الروح المادية على تصرفات قادته ، وحكامه ، ولكن الشعوب تشعر  
بربط الوحدة الاسلامية الذي يربط بينها في الحاضر ، وان اختلفت  
السياسات جغرافيا ، وتعدد اللسان لغويا ، ومن هذا المنطلق تتجاوب  
الاصدا ، في جميع جنات الاقطار الاسلامية عندما يتعرض اقليم  
يُطش الاجنبى ، غيب الجميع لمساندة اخوانهم والوقوف معهم  
مستشاك ايديهم ويقفون جنبا الى جنب ، لتحقيق هدفهم المشترك .  
الا وهو التخلص من الاستعمار وبناء قوة اسلامية - عالمية -  
يخشى باسها الجميع .

« اوفقت الوحدة الفكرية للاسلام في جماهير هذه المنطقة  
الشعور بوحدة الحاضر فانطلقت حركات متعددة تستهدف عودة  
القوة العالمية للاسلام . وقد جمعتها حول هذا الهدف الموحد : العقيدة  
المشتركة . التي جديتهم - وما زالت - نحو غاية واحدة ، على الرغم  
من اختلاف اسلوبهم ، وتباين طرقهم . للوصول الى هذه الغاية ،  
وقوى التقارب بانسراهم في معاداة الغرب ، وانتشار هذه العدوة  
للقوى الاستعمارية في كل مكان في الشرق ، فايضا وليت وجهك  
غابلتك مظاهر البغض للدول الأوروبية . ولست اثر ذلك في جميع  
نواحي الحياة الفردية ، وفي اسلوب الدعاية لدى جميع الهيئات  
السياسية والاجتماعية .

اضفت الحيوية - التي احست بها الجماهير ، نتيجة توحيد  
الاعاداف الرامية الى احيا الاسلام ، كواجهة للدولة الحديثة - قوة  
على الشعور بوحدة الحاضر . فقادته شعوب الشرق الاسلامي  
نضالا - استمر على كل رقعة من بقاعه ، شرقا وغربا ، وشمالا  
وجنوبا - ضد الدول الاستعمارية . كي تحافظ على وجودها .  
وساعد هذا النضال المشترك - ضد قوى اجنبية . اجتمعت على

استغلال هذه المنفعة ، واستنفاد ثروتها - على ظهور قوى قوية .  
كان لها اثر في التماسك الجعائى ، وكسر حدة الاحتكاك الذى كان  
يمكن أن يقود الى نزاع شعوبى ، .

من النادر أن يظهر كتاب أوروبى عن الشرق ، دون أن يحتل  
الحديث فيه عن الاسلام اكبر مساحة منه ، ودون أن يحذر مؤلفه  
رجال السياسة من الاسلام كقوة تهدد أوروبا ، مبينا لهم أنه - أى  
الاسلام - الدافع الاول لشعوب المنطقة فى رفضهم السيطرة  
الأوروبية :

« ان الحرك الاول للقلاقل العربية وثورات الشعب ضد الحطط  
الاستعمارى فى فلسطين ، هو الدين » ويبلغ الحماس ذروته ،  
ويصل الغضب الى درجة الغليان فى يوم الجمعة ، حيث يجتمع  
آلاف المسلمين فى المسجد ، يستمعون الى خطبة الجمعة ، التى غالباً  
ما تكون موجهة الى إثارة العواطف الدينية فيهم فيخرجون غاضبين  
على أولئك الذين يتعاطفون مع الصهيونية ، ويؤيدونهم فى قامة  
وطن لهم على هذه الارض العربية ، وقد فهم الزعماء السياسيين  
هذا الحائب فكرسوا جهودهم لايفاظ الشعور الدينى لدى المسلمين.  
لخدمة الاعداف السياسية فاشترك علماء الدين فى الحركات الوطنية  
- وكان ذلك احد الاسباب التى جعلت بريطانيا تفكر فى موقفها  
بالنسبة لانشاء وطن قومى يهودى فى فلسطين فتحاول اظهار  
التعاطف مع الجماهير العربية - وكانوا قادتها ، فقد تزعم شيخ  
له مكانة فكرية وروحية فى المجتمع ، الحوادث التى وقعت فى  
سنة ١٩٢٦ ، واستمد الفدائيون من هذه الزعامة قوة ، دفعتهم  
الى الثغاني فى سبيل قضيتهم وعدم المبالاة بما يصيبهم ، لانهم  
يعتقدون :



« ان الموت في سبيلها شهادة يثاب عليها بالجنة »

فلم تهين عزيزتهم ، ولم تخر فروعهم في احلك الظروف ، وادق  
المواقف ، ولم يفترخوا لحظة عن تذكّر الله ، والاتصال بعقيدتهم ،  
عن طريق أداء العبادات والاكتثار من السنة وقراءة القرآن .

« . . . وتعتبر المنطقة العربية : اهم المناطق التي بدت فيها  
ظاهرة العلاقة المتبادلة بين القوى الدينية ، والقوى الوطنية ، وقوة  
تماسكها لان كلتا القوتين ، اللتين سجتعا في القومية الاسلامية  
متكافئتان ، ولان :

« ما يجري على الارض العربية ، يحدث صدى في كل ارجاء  
العالم الاسلامي هذه المنطقة بالنسبة للمسلمين بمثابة القلب ،  
تنوقف على صربانه حياة باقى الجسد . لذلك يتأثر المسلمون في  
جميع انحاء الكرة الارضية ، بالاحداث الجارية على ارض هذه  
المنطقة من وطنهم الاسلامي ، ان مدا او جزرا . »

« . . . اتحدت القوى القومية مع الاتجاهات الدينية في العالم  
الاسلامي ، وكان تأثير الروح الدينية عليها متفاوتا بين قطار وآخر ،  
قوة وكثرة ، غير ان الاقطار كلها يجمعها طابع واحد ، الا وهو  
تجميع الاتجاهات الوطنية في اطار القومية الاسلامية ، وهذا يتطلب  
مزيدا من التكاليف واستمرار العمل المشترك في كل مجالات الحياة .  
فهو النقاء ، يبعث الروح الجماعية بين الشعوب الاسلامية - من  
مراكش حتى حدود الهند والصين - ويحيى فيها الشعور بوحدة  
المصير ، الذي يحتم على المسلمين التجمع حول رباط ترقى  
اسلامي . »

« ويأتى السعور بوحدة المصير - الذى بعثته القومية الاسلاميه غانمشر بين المسلمين انتشارا واسعا وسريعا - طاقته السحرية ، وقوته الحبارة من مكة ، من تلك المدينة ، التى أطلق عليها ذات يوم « قلب الاسلام » بينما عرفت القاهرة بأنها : « رأسه » ، القسطنطينية بأنها « يده » .

« هنا فى مكة يجتمع المسلمون من كل ارجاء العالم مرة فى السنة اثناء الحج الاكبر ، يلتقون مع بعضهم بعد ان يطرحوا عنهم كل اثر اجنبى ، خارج المنطقة الحرام ، الضرورية حول مكة ، يسون قومياتهم وأوطانهم ويتذكرون فقط حقيقة واحدة ، أخوة فى الله ، تجمعهم عقيدة واحدة وكتاب واحد ، ليس للفوارق الاقليمية مكان بينهم ، وهم يد على من سواهم .

« هناك فى المحل الذى يشعل العاطفة الدينية ، ويبعث فيهم روح تعاليم كتابهم المقدس « القرآن الكريم » وفى مركز الاسماع الروحي والفكرى ، حوله تحوم أفكارهم ، ثم تنبعث قوة محركة لكل الطاقات فى ارجاء العالم الاسلامى ..

« تحت سما مكة - المدينة المحرم دخولها على غير المسلم - وحول الكعبة ، التى يقصدها المسلمون كل عام يتأمر ذلك العالم المنطوى على نفسه فى هذا المكان ، المتلف على الوقت ، الذى يستعيد فيه عصره .. يتأمر ذلك العالم ضد أولئك الذين لا يجوز لهم دخول هذه المنطقة ، ويمكن للمرء ان يتخيل ان فى هذه المدينة المغلقة امرا يدبر ، وحيلا سياسية تحاك وقرارات ذات أهمية للعالم البعيد تتخذ ، وأن المجتمعين خلف الكواليس لا يتسألون فقط بحث المسائل الدينية فى العالم الاسلامى ، بل يناقشون مشاكلهم السياسية .

« إذا لم تكن هذه هي الحقيقة ، فلم تنبعث من أرجاء مكة ، تيارات سياسية ، لها اثرها العميق في العالم الاسلامي . فلا اقل من ان تلعب هذه المدينة دورا غير مباشر في توجيه الجيوش السياسي ، اذ الشعائر الدينية ، التي تقام فيها تطيع المسلمين بطابع خاص ، يدور في جوفه حول التمسدد في عداا البلاد الغربية والوقوف في وجه الاستعمار الأوروبي » (١) .



لم تستطع القوى العسكرية الاستعمارية احراز نصر عسكري شامل على المقاومة الاسلامية ، اذ لم تتمكن من القضاء التام عليها ، وظل نشاطها في مناطق العالم الاسلامي مسموعا ومرئيا ، وان فتر احيانا تحت ضغط التفوق العسكري للمستعمر ، فانها كانت دائما شوكة في جنب المستعمر ، لا تدعه يهدأ ، أو يغمض عينيه ، مما جعله يعتقد اعتقادا جازما ان القوة العسكرية ليست هي الوسيلة الوحيدة لإخضاع العالم الاسلامي ، فابدى اهتماما أكثر بنواحي أخرى تؤدي الى اضعاف المصدر الذي يدفع المسلمين الى مقاومة الاجنبي ، ألا وهو الدين ..

وسلك في الوصول الى هذا الهدف مسالك متعددة :

#### ١ - الدراسات الاستشرافية :

كان الغرض من انشاء الدراسات الاستشرافية ، معرفة طبيعة اخلاق وعادات وتقاليد الشعوب المستعمرة ، لتسهيل التعامل معها ، وتطويعها للإدارة الاجنبية ، ثم استخدمت في الشرق الاسلامي كرسيلة احمائية الاستعمار عن طريق تهيئة نفوس المسلمين لقبول

---

(١) راجع كتاب « الاسلام قوة الغد العالمية » الباب الثالث .

• وفي دائرة هذا البحث تنحصر الخلافات الدينية والفلسفية ،  
التي لم يوفق دين من الأديان ، ولا مذهب فلسفى الى حسمها  
بكيفية يفتح بها الأدراك ويرضاها العقل ، مع ان البحث فيها  
لاصابة هذا الغرض السامى . لم يكن بالأمر الحديث ، اذ طالما  
بحث فيها فلاسفة القدمين . فلم يجدوا لها حلا ، وكان حظهم منها  
كحظ فلاسفة المتأخرين وعلمائهم •

• وغاية ما عرف منذ العصر السابقة الى الآن ، انه وجد  
مذهبان نشاطا فيما بينهما العقائد البشرية من تلك الوجهة  
المهمة •

● فالاول منها يقول بتناهى الربوبية في العظمة والعلو ، وجعل  
الانسان في حضيض الضعف ودرك الوهن •

● ويذهب الثانى الى رفع مرتبة الانسان وتخويله حسق  
المقربى من الذات الالهية ، بما غطر عليه من ايمان وارادة ، وبما  
أتاه من أعمال صالحات وحسنات •

• والنتيجة الطبيعية للاعتقاد بمذهب الفريق الاول ، هي  
تحريض الانسان على اغفال مشئون نفسه ، وبت القنوط في تزايد ،  
وتثبيط همته وايها عزيمة •

بينما تسوق نتيجة الاعتقاد بمذهب الفريق الثانى الى ميدان  
الجداد والعمل ، وتلقى به في غمرات التنافس الحيوى •

ومن الامثلة على الفريقين :



« رفق دائرة هذا البحث تنحصر الخلاقات الدينية والفلسفية ،  
التي لم يرق دين من الأديان ، ولا مذهب فلسفي إلى حسمها  
بكيفية يقتنع بها الإدراك ويرضاها العقل ، مع أن البحث فيها  
لاصابة هذا الغرض السامي . لم يكن بالأمر الحديث ، إذ طاملا  
بحث فيها فلاسفة الأقدمين ، فلم يجدوا لها حلا . وكان حظهم منها  
كحظ فلاسفة المتأخرين وعلمائهم . »

« وعاية ما عرف منذ العصر السابقة إلى الآن . أنه وجد  
مذهبان نشاطا فيهما بينهما العتائد البشرية من تلك الوجهة  
المهمة . »

● فالأول منها يقول بتناهي الروبوبة في العظمة والعلو . وجعل  
الإنسان في حضيض الضعف ودرك اللوهن .

● ويذهب الثاني إلى رفع مرتبة الإنسان وتخويك حلق  
الغربي من الذات الإلهية ، بما نطرق عليه من إيمان وإرادة . وبما  
آتاه من أعمال صالحات وحسنات .

« والنتيجة الطبيعية للاعتقاد بمذهب الفريق الأول ، هي  
تحريض الإنسان على الخال شئون نفسه . وبث القنوط في مؤامره .  
وتشبيط صمته وأيهان عزمته . »

بينما تمسوق نتيجة الاعتقاد بمذهب الفريق الثاني إلى ميدان  
الجلاد والعمل ، وتلقى به في غمرات التناقض الحيوى .

ومن الأمثلة على الفريقين :

البوذيون الذين يدينون بدين يفضى عليهم بالتجرد . إذ من قواعده أن الانسان والكون يفتيان في الذات الالهية .

وقدما ، اتيوان ، الذين يدينون بدين من قواعده تشبيه الاله بالانسان في لوصافه المادية وقضى عليهم هذا الدين بالعمل والحياة لاعتقادهم بأن الانسان أو ، البطل ، يمكنه أن يصير في عداد الالهة بحسناته وخبراته .

« وقد ظهرت على أطلال العالم القديم بعد خصمائه عام من انفضائه ديانتان : احدهما ربانية ، والثانية بشرية . تمثلان دينك المذهبين المتناقضين . ولكن بتلطيف في التناقض . »

أما الأولى ( الديانة الربانية ) فهي الديانة المسيحية ، الورثة بلا واسطة آثار الآريين (١) والقطوعة الصلات بالمرّة مع مذهب السامية وإن كانت مشتقة منه ، وغصنا من دوحته . . . ومن خصائص هذه الديانة ( المسيحية ) ترقية شأن الانسان بتقريبه من الحضرة الالهية .

#### (١) ليست البوذية ديانة الآريين ؟

كيف تكون المسيحية مقطوعة الصلة بالسياسة ، أليس عيسى عليه السلام ساميا ؟ أليس ، بولس ، وهو المؤسس لدين الكنيسة الموجود الآن كما يقول علماء الأديان ساميا ؟ أليس ، بطرس ، - وهو رمز الكنيسة الكاثوليكية ورائدها - ساميا ؟ ولو ذهبت أعـدد علماء الكنيسة القديمة وروادها والمؤسسين لها ، لوجدت معظمهم لا ينحدرون من الجنس الآري مما يدل على أن تقسيم المستشرقين على هذا النحو مفتعلا ، ليصل به الى غرضه وهو الطعن على الاسلام حسب تصوّره هو ، لا بحسب الواقع .

على حين أن الديانة الفانية ( البشريه ) وعلى الاسلام ، المشوية بتأثير مذهب السامية ، تنحط بالإنسان الى أسفل الدرك ، وترفع الاله عنه في علا ، لا نهاية له .

• عدان الميلاان المختلفان يظهران ظهورا واضحا في الاعتقاد الاساسي لكلتا الديانتين : وهو أصل الألوهية . أما المسيحي فيذهب في الأصل الى الثالوث - أى أن الاله الاب أوجد الاله الابن واتصل الاثنان بصلة على روح القدس ، وعليه فيكون المسيح الها وبشرا . . . هذا الثالوث السرى ، المستقاة اصوله من ضرورة اله بشرى ، يصور ذنب الجنس البشرى ، ويغديه من الخطيئة ، التي اقترفها ، يرفضه المسلم الذي يعتقد بوحداية الرب . ويتمسك بهذا الاعتقاد تمسكا شديدا حيث يقول : لا اله الا الله .

غير أن ادراك المسيحيين من هذا التمييز هو أخف وأعلى ، وأحلب للنفقة . إذ يحملهم على اتيان الأعمال التي تقربهم الى الله ، حيث الوسائط بينهم وبين ذاته العلية موصولة ، في حين أن المسلمين تجعلهم ديانتهم كمن يهوى في الفضاء بحسب ناموس لا يتحول ولا يتبدل ، ولا صلة فيه سوى متابعة الصلوات والدعوات ، والاستغاثه بالله الاحد الذي هو مستودع الآمال ! وانظرا الاسلام معناه : « الاستسلام المطلق لارادة الله » .

• ترى الديانتين ، او بعبارة اخرى ، المدنيتين : المسيحية والاسلام احداهما يازا- الاخرى . وتتصل الاثنتان ببعضهما ببعض من حيث المنشأ العام لهما . إذ هما مستقتان من الأصول اليونانية والسامية ، ومنهما استمدتا جانبا من العقائد والمذامب والآداب . فهما إذن متداخلتان من وجوه عدة ، ولكن مسافة الخلق بينهما

ساسة في الحقيقة : من حيث البحث في القدرة الالهية ، والحربة البشرية ، (١)

يبدو التحايل لتشويه الحقائق واضحا في هذا الكلام ، اذ كيف يتصور باحث منصف ان الاسلام لا يدعو الي العمل ، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تحت على العمل لتحسين المستوى المادي ، واخرى تحث روح الانسان حتى لا يتحول الى حيوان لا هدف له الا شهوات البطن المدمرة للفرد والمجتمع ، اذا أطلق العنان لها دون ضوابط واحكام .

● ان المباعث على هذا التشويه ، ليس الا محاولة زعزعة عقيدة المسلم في المبادئ الاسلامية لتحقيق جزء من المخطط الكبير الرامى الى قطع الصلة بين المسلم واسلامه ، حتى يسهل اخضاعه وتطويعه للإدارة الأجنبية .

(ب) وتناولوا أحكامه في مجال المال بأسلوب يفهم عن قصدهم ( أى المستشرقين ) وصيغهم الى تشويه تعاليم الاسلام للحد من انتشاره بين شعوب الأرض ولتويعين الرباط بين المسلمين وعقيدتهم .

● فهم يدعون في تفسيرهم لبدا الزكاة ، ان الاسلام يرى ان الاموال المادية من اصل شيطاني نجس ، ولذا فلا يحل للمسلم ان يتمتع بها الا اذا ظهرها ، بارجاعها الى الله ، أى بإخراج

---

(١) تاريخ الامام : ج ٢ ص ٤٠٧ - ٤٠٩ ، نقلا عن : الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، للاستاذ الدكتور : محمد البهي ص ٥٣ - ٥٦ .



الزكاة (١) منها ، ويردد المسيحيون القائلون على الدراسات الإسلامية في الوقت الحاضر هذا المعنى ، ففي العدد رقم ٨٠ للسنة الثامنة والثمانين لصحيفة « The montreal Star »

بتاريخ ٥ أبريل سنة ١٩٥٦ . تحدث أب دومينيكانى مقيم في مصر - وكان يقوم بالقاء محاضرات عن علم الكلام الإسلامى بجامعة مونتريال - عن النظرة الإسلامية في الحياة فقال :

« ان المسلمين يتجنّبون الناس ، الذين يشتغلون بالمال ويعتبرونهم اقرب للكلاب منهم للجشع » (٢) .

هذا التصوير لبدأ من المبادئ الإسلامية ، الذى سبق نظام الضمان الاجتماعى - الذى تقتر به الامم المتقدمة في العصر الحديث - بأكثر من اثني عشر قرناً . يفر شعوب غرب أوروبا وأمريكا من الإسلام لان المال يحتل المركز الرئيسى في حياتهم المعاصرة ، فهو عصب حضارتهم الحديثة ، فإذا ما دعى الى التخلّى عنه - كما يوحى بذلك كلام هذا الاب الدومينيكانى - لن يستجيب ، وبالتالي سوف يصرف الفكر عن الإسلام ويقاوم رغبته ، اذا ما دعت نفسه

(١) يبدو أنه أخذ هذا المعنى من قوله تعالى « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها » وهذا فهم سطحي ، اذ ليس المقصود في الآية تطهير المال لان النفس الجسمة التى تتكثّر الذنوب والفساد ، وتترك اخواناً لها يعانون من ألم الفقر والحرمان دون أن تتحرك فتمد لهم يد المساعدة ، على نفس مريضة ، خبيثة ، نجسة ، ينفى ان تعالج . وعلاجها يكون بغرس روح التعاون والرحمة والشفقة بالباشرين فيها ، كي تعطى هذا المقتر ما يعينه على مواجهة الحاجات الضرورية في الحياة ، ويتمثل ذلك في اعطائه نصيب الزكاة .

(٢) الفكر الإسلامى الحديث ص ٥٧

يؤمنا إلى معرفته والبحث عن إمكانية اعتناقه ديناً ، أو اتخاذ مبادئه أسلوباً في الحياة .

وتحاول الدوائر الاستعمارية ترويض هذا الكلام في المجتمعات الإسلامية كي تبعد المسلمين عن دوائر المال ، لتكون لقمة سائغة لها ومما يؤسف له ، أن هذه الفكرة راجت في المجتمعات الإسلامية في القرن الماضي وأوائل هذا القرن ، فاستولى على التجارة يهود وأوروبيون فكانت لهم الكلمة الأولى والأخيرة في الأعمال المصرفية في العالم الإسلامي وتحكموا في اقتصاد المسلمين .

#### (ج) وصوروا تعاليم الإسلام بأنها دعوة إلى العنصرية :

ف « قوامة الرجل على المرأة » تخلف حضارى ، يعيد إلى الأذهان صورة استعباد المرأة في القرون الوسطى ، فهو يرفع الرجل إلى الذروة ، ويهبط بالمرأة إلى حاوية الإذلال والضعف .

و « عدم قبول المسلم لولاية الأجنبية » هو عدم تعاون مع الشعوب الأخرى .

و « الجهاد » اعتداء . أعطاه الإسلام صفة شرعية ودينية كي يدفع به المسلم لمهاجمة غير المسلم في وقت آمن فيه على نفسه وعرضه .

و « عدم زواج المسلمة بغير المسلم » فكرة عنصرية قائمة على تمييز الشعوب بعضها على بعض .

و « فكرة العودة إلى القرآن » دعوة إلى الرجوع إلى الحياة

البدائية . التي كانت للجماعة الإسلامية ، لأنها لم تكن في نظرهم - طبقا لحطاط القسويه لتعاليم الاسلام - سوى حياة بدائية . وطبقا لهذا الفهم ينكرون على من ينادى بهذه الفكرة دعوته الى الإصلاح . إذ الإصلاح في نظرهم هو التطور وانتاج الاساليب الغربية الحديثة .

## ٢ - المدارس الأجنبية :

● أدرك المستعمر أن تأثير الدراسات الاستثنائية - وإن زرع العقيدة عند بعض المسلمين ، المثقفين ثقافة غربية - في المجتمع الاسلامي جزئي . فهو محصور في المجموعة . التي تعرف اللغات الأجنبية . ولذا فقد تناولت الخطة الاستعمارية إنشاء مدارس في المجتمعات الإسلامية ، تعلم فيها المسلمين الثقافة وتلقنهم الفكر الاجنبي . وتعددهم اعدادا عاليا لتؤلى مقاليد الامور في بلادهم . وهم بحكم تشربهم الثقافة الأجنبية في هذه المدارس ، سوف يتبنون منهجه في التعليم والثقافة ، وفي اسلوب الحكم والسياسة . وبذلك يكونون خير ممثل للاستعمار ينفذون ما عجزوا عن تنفيذه بطريق مباشر .

● أعطيت هذه المدارس من الامكانيات ما جعلها تتبوأ المكانة الاولى في قائمة المعاهد العلمية ، فمدرسوها على درجة عالية من الكفاءة . وتطبق في ادارتها أحدث النظم التربوية والادارية ويعتنى بمظهرها عناية . تلقت نظر المواطنين اليها ، فمبانيها على أحدث طراز . وعيثة طلابها تسر الناظرين ، والتزامهم بالسلوك والآداب الاجتماعية بشد انتباه المتعاملين معهم ، وفصلا عن ذلك فقد رسم الاستعمار عن الخطة ، ووضع من اللوائح ما يمكن المتخرجين من هذه المدارس من تولي اسمى المناصب ، وارتقاء أعلى الدرجات في

الدولة . وبهذا استطاع المستعمر أن يسلم مقاليد الحكم والتوجيه لابناء صنعهم بيده ، نفزاهم بثقافته ، ونماهم في رحاب افكاره . فكانت النتيجة أن تنكر معظمهم للتعاليم الدينية ، ونظر اليها والى الداعين لها نظرة استهزاء واستنكار .

### ● ماذا فعل المسلمون ازاء هذه الظاهرة ؟

● حاربوها بالخطب الرنانة ، ومقالات في صحف ومجلات لا تصل لى اولىء امور من ارسلوا الى هذه المدارس . ولو وصلت الى بعضهم ما اثرت فيه لانهم يريدون أن يربوا ابنائهم تربية عالية .

### ● ما بين البجيل لهذه المدارس ؟

● لو انشأ المسلمون مثيلا لها في المستوى الثقافى والتربوى لانصرف معظم الناس عن ارسال ابنائهم الى هذه المدارس الاجنبية ، ولكنهم اكتفوا بالاحتجاج السلبى ، اللهم الا بعض محاولات ضئيلة ، بذلت في هذا المجال ، واقصد بها ما قامت به الجمعية الخيرية الاسلامية في مصر . ولكن حتى هذه المحاولات قضى عليها أيضا ، وضمت مدارس الجمعية الخيرية الى الدولة ، غساء حالها وانخفض مستواها وظلت المدارس الأجنبية تحتل المكان الاول في مستوى التربية والثقافة .

● وما زال المسلمون يجارون بالشكوى ، ويصرخون ، ولا يجدون سوى الخطب ومقالات الوعظ ، التى تحذر من ارسال ابناء المسلمين الى المدارس الأجنبية ، أما العلاج العلمى ، فلا يجد آذانا صاغية ، وأذكر اننى شاركت في مؤتمر اسلامى عقد في احدى الدول



العربية . وكنت عضواً في لجنة الغزو الفكري . فاقترحت على اللجنة أن توصي بإنشاء مدارس إسلامية في مستوى المدارس الأجنبية حتى يجد المسلم الذي يريد لابنه هذا النوع من التعليم ، مكاناً في مؤسسة علمية ، غير خاضعة للفكر الأجنبي . ووافقت اللجنة على هذا الاقتراح . ولكن لجنة الصياغة العامة في المؤتمر أعملته ... لماذا ... ولأننا لم نبلغ بعد المستوى المطلوب للتخطيط العلمي لمواجهة الفكر الأجنبي ، ف نحن لم نتعد بعد مرحلة الخطب الرئائية . لحسب الشعبية الجماهيرية ، وإن كان على حساب فائدة كبرى ... لا تدركها العامة - للإسلام والمسلمين .

\*\*\*

### ٣ - ازدواج التعليم :

● انصرفت مناسج المؤسسات التعليمية في المجتمعات الإسلامية قبل مواجهتها مع قوى الغرب الاستعماري - في عصر النهضة - على النواحي الدينية فقط . فلم تتناول المشاكل العامة في المجتمع . إلا من زاوية ترديد ما قاله السابقون ، فجمد الفكر الإسلامي . وتوقف عن التجديد والابتكار (١) فلم يستطع تقديم حلول للمسائل التي تظهر كل يوم على سطح الحياة الإنسانية . كذلك عجز عن الخلق والابداع في مجال العلوم والتكنولوجيا ، وعندما

(١) حتى في المسائل الدينية البحتة . لم يقد يواجه كما ينبغي . بل قصر في شاحية وأعمل في أخرى ، وقد عبر الشيخ محمد عبيد عن قصور التعليم الديني آنذاك أصح تعبير فقال :  
« إذا استقرينا أحوال المسلمين ، للبحث عن أسباب الخذلان لا نجد إلا سبباً واحداً : وهو القصور في التعليم الديني ، أما »

بدت امراض الضعف - نتيجة هذا الجمود - في مرحلة المواجهة  
ظهرت عدة محاولات للدفاع عن الشرق الاسلامى ضد الغزو الفكرى  
الغربى . كان بعضها دعوات سياسية اركزت على القومية الوطنية

= باعماله جملة كما هو في بعض البلاد . واما بالسلوك اليه من غير  
طرقه القومية كما في البعض الآخر .

• اما الذين اعمل فيهم التعليم الدينى : فجمهور العامة في كل  
ناحية . ثم يبق عندهم من الدين الا اسما ، يذكرونها ولا يعتبرونها .  
فان كانت لهم عقائد ، فهي بقايا من عقائد الجبرية والمرجئة ، من  
نحو : انه لا اختيار للعبد فيما يفعل . وانما هو مجبور فيما يصدر  
عنه جبرا محضاً - فهذا لا يؤخذ على ترك القرائن ، ولا على  
اجتزاع السيئات . ومثل : ان رحمة الله لا تدع ذنباً حتى تشمله  
بالغفران قطعا . لا احتمال معه للعقاب فيفعل الانسان ما يفعل من  
الموبقات ، وليهمل ما يهمل من المفروضات فلا عقاب عليه . وما  
ساكل ذلك مما ادى الى هدم اركان الدين من نفوسهم واستل  
الحمية من قلوبهم .•• ولا منسأ له الا عدم تعلمهم عقائد دينهم  
وغفلتهم عما اودع كتاب الله وسنة رسوله .

واما الذين اصابوا سيقا من العلم الدينى : فممن من كان  
عمهم على احكام الطهارة والنجاسة ، وفرائض الصلاة والصوم .  
وظنوا ان الدين منحصر في ذلك . ومتى ادوا عاتين العبادتين على  
ما نص في كتب الفقه فقد اقاموا الدين ، وان عدوا كل ركن سواهما  
•• ويشتركون مع الاولين في تلك العقائد الفاسدة .

• ومنهم من زاد على ذلك علم الفروع في ابواب المعاملات ،  
مستخذاً ذلك آلة للكسب ، وصنعة من الصنائع العاجية . ولولئك ••

والأخرى تربوية ، اتخذت المنهج الحديث في التربية أساسا للنهوض بمستوى الأمة كي تعوى على صد الأجنبى عن ديارها وعقيدتها وترواتها .

أما القائمون على المعاهد العلمية الدينية ، فقد التزموا موقفا سلبيا في مواجهة التيارات الفكرية الاجنبية ، فقد رفضوا ادخال أن نوع من العلوم الحديثة في مناهجهم ، بحجة أن ذلك لا يتفق مع الاسلام . " حرّموا تدريس الجغرافيا والطبيعة والكيمياء ، والرياضة وغير ذلك من العلوم التى تقوم عليها أسس النهضة

---

= الالاب من طلاب الافتاء والقضاء ، ووظائف التدريس وما شاكل ذلك . ينظرون الى الدين الا من وجهة ما يجلب اليهم المعيشة . فان مال بهم طلب العيش الى مخالفته لم يبالوا بذلك . معتقدين على مثل عقائد الجبهة مما قمنا .

وعولا ، لا تختص بمساعد اعمالهم بذواتها ، ولكنها تتعدى الى اخلاق العامة وأطوارهم . بهذا القسم اعظم الاقسام خطرا ، واشدها ضررا فى العامة والخاصة . وما افراده بقليل .

( تاريخ الامام ج ٢ ص ٥٠٩ - ٥١٠ عن الفكر الاسلامى الحديث لاسناد الدكتور محمد البهى ص ١٤١ - ١٤٢ ) .

عما هذا الوضع فى مجالى التعليم الدينى الخارجى لظهور التعليم المدنى ، كما ساعد المستعمر على تمكن خريجي المدارس الحديثة ، من السيطرة على مقاليد السلطة وأزمة التوجيه الفكرى . وقدم له فرصة ذميمة - انتهزها واستغلها بذلك ، نادر - لتسويه صورة رجل الدين عند الجماهير .

الحديثة وهي التي تمثل أحد عنصرى القوة فى مواجهة الغزو الاجنبى (١) ، فنتج عن هذا ان فقدوا كثيرا من الاصوات المسلمة فى صفوف التيارين الآخرين - وهما التيار السياسى القائم على اساس القومية ، والتيار القومي الذى اتخذ الاسلوب القومى الحديث اساسا لهوض بالامة .

حين التفتت معارضة رجال الدين للاستعمار فى اصلاح التعليم ، فرضوا ادخال النظم الحديثة فى معادهم ، وجد المستعمرون انصارا لهم - فى صفوف القوميين والمصلحين القوميين - فى دعوتهم الى انشاء مدارس حديثة على غرار المدارس الأوروبية واطلقوا عليها التعليم الحفى فى مقابل التعليم الدينى ، وبهذا وجد نظامين للتعليم فى المجتمع الاسلامى ، مدارس دينية واخرى مدنية . جامعات تقوم على النظام الأوروبى (٢) واخرى لا يدرس فيها سوى العلوم الدينية . ولم يقتصر الامر عند هذا الحد ، بل استأثر خريجو الجامعات المدنية بكل الوظائف الحساسة فى الدولة وحصلوا على كل الامتيازات ، بينما حرم الآخرون من كل شئ .

(١) فعليا تقوم القوة المادية فى المواجهة ، اما العنصر الآخر وهو القوة الروحية ، فالاسلام كقيل بقرسه فى نفوس المسلمين ، لوقامت التربية الاسلامية فى المجتمع على تخطيط سليم .

(٢) لارال عذا النظام المزوج قائما فى المجتمعات الاسلامية على الرغم من رحيل القوات الاستعمارية عنها ، ومن الغريب انه موجود فى اقطار اسلامية - طادت اقطار اسلامية اخرى ، واضطرت الى عذا التقليد نتيجة لجمود القائمين عليها على شسئون المؤسسات التعليمية الاسلامية - لم تقع يوما ما تحت تأثير مباشر لنفوذ استعمارى ، أى أن القوات الاجنبية لم تطأ أرضها فى عصور الاحتلال العسكرى .



• فلم يعبثوا إلا لتدريس مادتي الدين واللغة العربية •• وبفروش  
لا تسمن ولا تغنى من جوع •

دعم الاستعمار - وصاعده في ذلك مسلمون ، تربوا في مدارس  
- التعليم الأدنى . وحارب التعليم الدينى فانكمش ، وعجز عن  
رسائله كما ينبغي وبقي معزولا عن مواجهة القنارات الفكرية  
الحديثة •

ويرجع عدم قيامه بهذا الواجب أيضا الى :

جمود الفاشين عليه ، وعدم فهمهم للايديولوجيات العالمية .  
التي تموج بها المجتمعات الحديثة •

والى خصوعهم للحكام - وهم متعددو الامواء في نابيديم هذا  
او ذاك من المذاهب العالمية المختلفة - فلم يجبنوا رأى الاسلام واضحا  
في المذاهب الاقتصادية المعاصرة كالاشتراكية والراسعالية ، بل  
اخضعوا احكام الاسلام لهوى الحاكم ، فان كان اشتراكيا فالاسلام  
يدعو الى الاشتراكية ، وان كان معاديا للاشتراكية ، تجاوزت  
الاصداء في ارجاء المعاهد العلمية تغنى على الوتر •

والى عجزه - اى نظام التعليم الدينى - عن ابداء الرأى في  
حل المشاكل الاجتماعية - التي تعانيها الشعوب الاسلامية - من  
وجهة النظر الاسلامية وظل يحور في دراسات حول محاكات لغظية ،  
ومفسقات لغوية جافة ، فخلت الساحة للتفكير الأوروبى - او  
الاسلامى المتأورب - فسيطرت فوزه على عقلية الطبقة المثقفة ثقافتها  
« مدنية » ، وهى الطبقة التي تتولى السطوة ، وبهذا ضمن  
الاستعمار تنفيذ النظم الأوروبية في مجتمع مسلم بواسطة حكام

مسلمين ومن هذه الطبقة ايضا خرج اصحاب الدعوات الهدامة .  
لان ثقافتهم الغربية - وولاءهم للغرب - اضعفت صلتهم بالاسلام ،  
وقطعت الوشائج ، التي تصلهم بعقيدتهم .

#### ٤ - خلفاء الاستعمار :

ايضن المستعمر ان قواته سترحل يوما ما عن منطقة العالم  
الاسلامى . لان اخضاع المسلمين بقوة السلاح مطلب بعيد عن الواقع .  
فالمجتمع الاسلامى يرفض السيطرة المباشرة رفضا باتا ، ولذا فقد  
نصمت خطط المستعمر خلق طبقة من المسلمين تتبنى آراءه .  
وتدافع عنها ، وتتولى تنفيذ ما عجز هو عن تنفيذه . وقد تضافرت  
عدة جهات على تكوين عقلية هذه الطبقة وتغذيتها بالآراء والإنكار  
التي نادى بها فى المجتمع الاسلامى :

فقد اسهم المستشرقون فى غرس بعض المفاهيم الخاصة حول  
مبادئ العقيدة الاسلامية فى اذهانهم ، فافهموهم عدم امكانية  
تطبيق بعض النظم الاسلامية فى السياسة والاقتصاد والاجتماع  
ومجالات العلوم المختلفة فى الحياة المعاصرة ، حيث التقدم فى  
التكنولوجيا . والتعبدات فى أنظمة الحكم والعلاقات الدولية .  
والانشطة الاقتصادية المعتدلة ، واثروا ذلك كله فى الحياة الاجتماعية  
بما يتناسب مع متطلبات العصر والبيئة الحضارية .

وعلمتهم المدارس الاجنبية - التي انشئت فى العالم الاسلامى -  
نظريات فى التاريخ والعلوم الاجتماعية . تدور كلها حول مفاهيم  
تدفع الطالب الى اعتناق مبدأ :

« ان العصر لم يعد صالحا لتطبيق تعاليم الاسلام فى مجالى

الحكم والتوجيه ، فلم يبق له سوى العبادات الفردية المتعلقة  
بإله سبحانه وتعالى ، أى أن مجاله المسجد فقط .

وأقرتهم المناصب الكبرى فى الدولة على تنفى افكار تنالهم مع  
اتجاهات المستعمر ، اذ هو يملك الكلمة الأخيرة فى اختيار من يتولون  
المناصب الكبرى والحساسة فى الدولة ، ولم يفقد هذه الكلمة  
بزحيل قواته عن العالم الاسلامى ، بل لازال محتفظا بها عن طريق  
تكوين الجمعيات - والسيطرة عليها - ذات الطابع العالمى - مثل  
الروتارى والماسونية - فى العالم الاسلامى ، وجمعيات التقريب  
بين الاديان والاعاب ، وهى مؤسسات تضم الشخصيات صاحبة  
النفوذ فى الدولة .

ويمكن للمرء ان يتبين مدى هذا النفوذ ، عندما يلاحظ ان  
التخصصين للإسلام يحال بينهم وبين الوصول الى هذه المناصب ،  
وان حدث ان وصل احدهم اليها فانما يرجع هذا الى اعتبارات  
أخرى ، فرضته على من يبدون انهم اصحاب الكلمة فى الدولة ، ثم  
لا تتركه هذه القوى المعادية للإسلام يتحرك بحرية فى مجال  
ترسيخ المعانى الاسلامية فى مجال عمله ، بل تحاصره ، وتضع  
أمامه العقبات التى تقبل حركته وتظل تلاحقه حتى يقضى - أو  
ينصحب هو يائسا - عن المنصب تاركا الساحة لأرباب الاستعمار  
وخلفائه أو لمن يسير فى غلكهم طمعا فى غنم مادى أو أدبى .

وأجبرهم الوضع الدولى للعالم الاسلامى على السير فى غلك  
أحدى القوتين العالميتين ، ذلك ان البلاد الاسلامية تعاني من تخلف  
فى التكنولوجيا ، وضعف فى أنظمة الحكم ، وتفكك فى الترابط بينها،  
أضعف قواها فى مواجهة النفوذ الخارجى فخفضت له ، وسواء سمي  
هذا الخضوع صداقة ، أو تحالف أو تبادل اقتصادى ، فان ما يؤدي  
( ٥ - أثر البيئة )

اليه . هو أن تحصر حركة الدول الإسلامية داخل هذا المعسكر أو ذاك . مما يجعل كثيرا من هؤلاء الذين يتبنون أفكار هؤلاء وأولئك يتيارون في تبرير انتحاراتهم السياسية . وقل أن تجد في العالم مؤسسات سياسية تلتزم خطا اسلاميا بعيدا عن تأثير القسوى الأجنبية . سواء كان مباشرا أو غير مباشر . لأن نفوذ تلك القوى تغلغل في صفوف جميع المؤسسات في العالم الاسلامي حتى الدينية . إذ دخل في كثير منها ليوحيها - من وراء ستار - الى طريق . فيه اضعاف العقيدة وتفكيك الوحدة الاسلامية وقد وضع هذا الدور في القاديانية . فقد كان ميرزا غلام احمد - مؤسس هذه الطائفة - خاضعا للانجليز خضوعا كليا ! وقام بدور في المجال الديني بخدم مصالحهم . دور لم يستطيعوا القيام به . إذ لم يكن في استطاعتهم تفيي دعوة تحريم الجهاد في وقت كان المسلمون في أشد الحاجة اليه لوضع غارة الاستعمار عن يلادهم . ولم يكن وضعهم يسمح بتبني عقيدة مزج المسيحية بالاسلام . كما دعا الى ذلك ميرزا غلام احمد . ولهذا كانوا عوناً له وسندا . ولم لا ! فهو يمهّد لهم طريقا عجوزاً عن سلوكه . وسيكون خليفته في العالم الاسلامي أن هم رحلوا عنه . خليفته في توعية العقيدة الاسلامية عند المسلمين . وتمزيق وحدة المسلمين كي تظل كلمة الاستعمار هي المسموعة في الساحة الدولية .

وهكذا يبدو جليا أثر الصراع الديني في ظهور القاديانية في العالم الاسلامي .



## الباب الثالث

### الرجعة

ساعت عميدة الرجعة بين الطوائف الدينية ، فقد اعتقد الكلدانيون برجعة هابيل ، الذي قتله أخوه قابيل ، وأمنت بعض الطوائف اليهودية بالرجعة واستقبلوا على ذلك بأمرين :

أحدهما :

حديث عزيز ، إذ أماته الله مائة عام ثم بعثه .

ثانيهما :

حديث هارون عليه السلام ، إذ مات في القية ، وقد نصبوا قنله إلى موسى وأدعوا أنه حسده ، لأن اليهود كانت إليه أميل منها إلى موسى . واختلفوا

فمنهم من قال :

• مات وسيرجع .

ومنهم من قال :

غاب وسيرجع (١)

كذلك سيطرت فكرة عودة المسيح ثانية الى الارض على عقول الكتاب : الذين أسهموا في كتابة أسفار العهد الجديد ، لدرجة انهم حددوا موعدا ، فقد جاء في هذه الاناجيل :

« ان المسيح دعا تلاميذه الاثنى عشر واعطاهم سلطانا على ارواح نجسة حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض .. وأوصاهم قائلا : ما انا ارسلكم كغنم وسط ذئاب ، فكفوا حكاما كالحيات ، وبسطا ، كالحمام .. ومتى طردوكم في هذه المدينة فاعربوا الى الاخرى » .

فاني الحق أقول لكم لا تكملون مدن اسرائيل حتى ياتي ابن الانسان » - المسيح - (١)

اي ان عودة المسيح ثانية الى الارض تحدث قبل أن يكمل تلاميذه التبشير في مدن اسرائيل (٢) كذلك انتشرت عقيدة الرجعة بين جمهور المسلمين ، اذ آمنت بها معظم الفرق الشيعية .

### ● فمن الكيسانية :

● المخاراية : اصحاب المختار بن أبي عبيد الثقفي ، كان خارجيا ، ثم صار زبيريا . ثم صار شيعيا وكيسانيا . قال بإمامة محمد ابن الحنفية . بعد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنهما .. وكان السيد الحميري - وهو من شيعة محمد بن الحنفية

(١) متى ١٠ : ١ - ٢٣

(٢) أحمد عبد الوهاب : المسيح في مصادر العقيدة المسيحية

- يعتقد فيه - أي في ابن الحنفية - انه لم يمت ، وانه في جبل رضوى بين أسد ونمر يحفظانه . وعنده عيتان تضاحقان تجريان بماء وعسل وانه يعود بعد الغيبة فيملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا . وهذا هو أول حكم بالغيبة والعودة بعد الغيبة ، حكم به الشيعة ويجري ذلك في بعض الجماعة حتى اعتقدوه دينا وركنا من أركان التشيع (١) .

ومنهم من اعتقد أن عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي - الذي اعتقد البعض أن أبا عاسم بن محمد الحنفية أوصى بإمامته - حيا لم يمت وسيرجع (٢) .

#### ● ومن الزيدية :

● انصارودية : قالوا بسوق الامامة من علي إلى محمد بن عبد الله ابن الحسن بن الحسين ، وقد قتل في المدينة علي عهد المنصور . ومن قال منهم بإمامته ، أي بإمامة محمد بن عبد الله اختلفوا :

فمنهم من قال : انه لم يمت ، وهو بعد حي ، وسيخرج فيملأ الأرض عدلا .

ومنهم من أقر بموته ، وساق الامامة إلى محمد بن القاسم ابن علي بن الحسين (٣)

(١) الشهرستاني : ج ١ ص ١٥٠ (٢) المصدر السابق ص ١٥٢

(٣) المصدر السابق ص ١٥٧ - ١٥٩

### ● ومن الامامية :

● الباقرية : اتباع محمد بن الباقر بن علي بن زين العابدين ، وابنه جعفر الصادق . قالوا بامامتهما وامامة والدعما زين العابدين . الا ان منهم من توقف على واحد منهما وما ساق الامامة الى اولادهما . ومنهم من ساق . وانما ميزنا هذه الفرقة دون الاصناف المتشعبة التي نذكرها ، لان من الشيعة من توقف على الباقر ، وقال برجعتنه (١) .

● النابوسية : اتباع رجل يقال له : نابوس ، وقيل : فسبوا الي قرية نابوسا . قالت : ان الصادق حي بعد . ولان يموت حتى يظهر فيظهر أمره . وهو القائم المهدي (٢) .

● الاسماعيلية الواقعة : قالوا : ان الامام بعد جعفر اسماعيل . نص عليه باتفاق من اولاده ، الا انهم اختلفوا في موته في حال حياته . فمنهم من قال : لم يموت ، الا انه اظهر موته تقية من خلفاء بني العباس . ومنهم من قال موته صحيح . والنص لا يرجع للفقري . والفائدة في النص بقاء الامامة في اولاده المنصوص عليه دون غيرهم . فالامام بعد اسماعيل : محمد بن اسماعيل . ثم منهم من وقف على محمد بن اسماعيل وقال برجعتنه بعد غيبته . (٣) .

● النوسوية : فرقة واحدة قالت بامامة موسى بن جعفر نصا

(١) المصدر السابق ص ١٦٥

(٢) أحمد بن حنبل ص ١٦٦

(٣) المصدر السابق ص ١٦٧ - ١٦٨



عليه بالاسم ثم ان موسى لما خرج واطهر الامامة ، حملته حارون  
الرشيد من المدينة فحبسه عند عيسى بن جعفر ، ثم اشخصه الى  
بغداد فحبسه عند السعدي بن شامك . . . وقيل : ان يحيى بن  
خالد بن برمك سمه في رطب فقتله وهو في الحبس . . . واختلفت  
الشيعة بعده .

ومنهم من توقف في موته وقال : لا ندري ا مات أم لم يموت .  
ومنهم من قطع بموته .

ومنهم من توقف عليه ، وقال : انه لم يموت وسيخرج بعد  
الغيبه (١) .

● الاثنا عشرية : هم الذين ساقوا الامامة في اولاد موسى  
الكاظم حتى محمد بن الحسن العسكري ، وهو الامام الثاني عشر  
المختفى . وحدث اختلاف كبير بين أتباعه عقب اختفائه حول وجوده  
ابتداءً وحول اختفائه ، فذهب فريق الى انه وجد فقال : ان الحسن  
كان له ابن وليس الامر على ما ذكروا انه مات ولم يعقب بل ولد  
له ولد قبل وفاة ابيه بسنتين ، فاستقر خوماً من جعفر وغيره من  
الاعوان ، واسمه محمد وهو الامام ، القائم الحجة والمختار (٢) .  
ومن الغالية يبرر ذلك ، ويرفضه : فاستقر خوماً رآه في  
السنين (٣) .

● السبائية : اصحاب عبد الله بن سبأ ، الذي قال لعلي كرم  
الله وجهه : انت انت ، يعني انت الاله ، فقتلوه الى المداثر .

(١) المصدر السابق ص ١٦٨ = ١٦٩ ج ٢ ص ١٢٢

(٢) المصدر السابق ص ١٧١ راجع رقبيلنا مصفا (٢)





نفسا . أو عجز عني ما وسعهم . قال . فبمكت سبع سنين . أو ثمان سنين أو تسع سنين . ثم لا خير في الحياة أو في العيش بعده (١) .

وعن علقمة عن عبد الله قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم . إذ أقبل غنية من بني هاشم . فلما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم اغرورقت عيناه . وتغير لونه . قال : فقلت : ما نزال نرى في وجهك شيئا تكرهه . فقال : أنا أهل بيت . اختار الله لنا في الآخرة على الدنيا . وإن أهل بيتي سيلقون بعدى بلا وتشريدا وتطريدا حتى يأتي غوم من قبل المشرق . معهم رايات سود (٢) فيسألون الخير . فلا يعطونه . فيقاتلون . فينصرون فيعطون ما سألوا . فلا يقتلونه . حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي فيملؤها قسطا كما ملؤها جورا فمن أدرك ذلك منكم . فليباتهم ولو حبوا على الثلج (٣) .

(١) ابن حنبل ج ٣ ص ٥٢

(٢) كان الشيعة جادين في السعي لجعل الخلافة في آل الرسول صلى الله عليه وسلم من ذرية علي رضوان الله عليه فوضعوا الأحاديث تمهيدا لذلك . فحفظ لهذا الأمر العباسيون فاستمالوا بعضهم . ورأى أبو مسلم الخراساني وعصبيته أن آل علي يغلب عليهم الزعم . وإن بني العباس كفتي أمية في الطمع في الملك . فعمل لهم . توسلا بهم إلى تحويل عصبة الخلافة إلى الفرس . تمهيدا لإعادة الملك والمجوسية . وحينئذ وضعت أحاديث المهدي . مسيرة إلى العباسيين مضرحة بشارتها - وهو السواد ( تفسير المنار ج ٩ ص ٤٦٢ ) - ١٠٠٠ ر. قيسيا مصطا (١)

(٣) ابن ماجه ج ١ ص ٤٨٢ . ١٦ ر. قيسيا مصطا (٢)



تدل هذه النصوص على أن عقيدة ظهور المهدي انتشرت بين كل المذاهب الإسلامية ، السني منها والشيعة ، غير أن عناصر تكوينها مختلفة . فقد ظهرت أولا عند الشيعة كعقيدة رجعة ، إذ اعتقدت بعض الطوائف الشيعية برجعة علي رضي الله عنه ، ثم تحولت إلى اعتقاد في ظهور الامام المختفى - أو رجعته - الذي سيملا الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا .

أما عند أهل السنة فظهرت بأدى ، ذي يد ، اعتقادا في ظهور رجل من أهل البيت ، يقسم العدل في الأرض ، ويحضر الظالم .

ولا شك أن بين العقيدتين اختلافا ، فالشيعة تؤمن برجعة امام مات أو اختفى أما أهل السنة فيؤمنون بظهور رجل ، وجوده عادي ، إذ يولد من أب وأم ، وقد تكون حياته عادية ، إلى أن يظهر بالدعوة غيوبه الله لفتح مسيئته في القضاء على الظلم وإقامة العدل بين الناس لكنهما يشتركان في الدافع النفسي لهذه العقيدة ، فالظلم واقع على كليهما :

فقد تعرض الشيعة لاضطهاد الأمويين ، ثم العباسيين ، الذين لم يرحموا أئمتهم ، ولم يتركوا المشايخين لم يستقروا في مكان ، بل تعقبوهم ، وأعطوا السيف في رقابهم . وزجوا من نجا منهم من السيف في غيابة السجون ، فضاعت الحياة بالبيت وأتباعهم فنبخرت أرواحهم في الهواء ، غيئسوا من قدرتهم على الاستيلاء على السلطة ، وبلغ اليأس بهم درجة الاستسلام لأحلام اليقظة ، فهيأت لهم نفوسهم لليأس من الخروج من الواقع الاليم - صورا ورجية ، صور انتقامهم مما هم فيه وتمثل ذلك في ظهور شخص ، له من القوة ما يفوق قوى الدولة ، التي انتهكتهم . ولن يكون ذلك إلا إذا كان مؤيدا ، من الله ، الذي أمر رسوله ذلك بقوة اهلكت أهل الشر جميعا ، ذلك الشخص : هو المهدي .

أمدتهم هذه الصورة بالامل - والانسان اذا كان في محنة .  
 نحلق بالآمال حتى ولو كانت احلام اليقظة مصدرها - فتعلقوا  
 به وآمنوا بانه سيتحقق . فصار ظهور المهدي عقيدة لهم . يتصيدون  
 الادلة على صحتها من هنا وهناك .

اما اهل السنة ، فقد تعرضوا أيضا لظلم ولاية الامويين وعسفهم  
 وجورهم فتمنوا الخلاص منهم . فلما طالبت فترة حكمهم ، ظهرت  
 اصانيهم في الاعتقاد في ظهور من يخلصهم من هذا الظلم . ولهذا نجد  
 احاديث المهدي تركز على ناحيتين . هما الامتان الرئيسيتان اللتان  
 تعاني منهما المجتمعات الانسانية . اولاهما : الظلم والفقر اذ  
 يوعدون في هذه الاحاديث :

• بان المهدي سيملا الارض عدلا بعد ان ملئت جورا .

• وبان المال سيفيض عن الحاجة ، فلا يحتاج احد الى احد .

واحاديث المهدي كلها آحاد . ومما يزيد في ضعف حجبتها ان  
 البخاري ومسلم - وهما اكثر جامعي الاحاديث حرصا في التحقيق  
 والتدقيق - لم يأتيا بحديث واحد عن المهدي في صحيحيهما مما  
 يجعلنا نحكم بان ظهور المهدي ليس من المسائل المجمع عليها . اذ  
 لم يرد ذكره في القرآن والاحاديث التي وردت فيه آحادا . .  
 ومتعارضة (١) فمنكره ليس كائفا .

(١) . . . واما التعارض في احاديث المهدي ، فهو اقنوى  
 واظهر . والشجع بين الروايات فيه أعسر ، والمذكرون لها اكثر .  
 والشبه فيها اظهر . ولذلك لم يعتد الشيخان شئ من رواياتها في  
 صحيحيهما . تفسير المفارج ٩ ص ٤٥٩

كما أن عقيدة الرجعة ليست من المسائل المجمع عليها عند الشيعة ، فقد أنكرها محمد الباقر حين سئل :

« هل دنكم أهل البيت من يعتقد بالرجعة ؟ »

قال : لا (١) .

كذلك أنكرها زيد بن علي بن زين العابدين ( الذي سميت إليه طائفة الزيدية ) وإن أقر ظهور المهدي بالمعنى المفهوم عند أهل السنة . إذ كان يعتقد أن المهدي - هو الخارج على الظالم ، المجدد النقيض . وهو الذي يخرج مجاهدا في سبيل الله ليصلا الأرض عدلا (٢) .



● أما رجعة عيسى عليه السلام فبؤمن بها جمهور أهل السنة استفادا إلى :

« قول الله تعالى

« وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته » (٣) .

فارجعوا الضمير في « به » و « موته » إلى عيسى . والمعنى ما من أحد من أهل الكتاب - يهوديهم ونصرانيهم إلا ليؤمنن بعيسى قبل أن يموت عيسى .

(٢) المصدر السابق ص ١٦٥

(١) التتار ص ١٣٨

(٣) النساء : ١٥٩

قالوا اخبرت هذه الآية ان أهل الكتاب سيؤمنون بعيسى قبل ان يموت . وهم لم يؤمنوا به الى الآن . على الوجه الذى طلب منهم . فلا بد ان يكون عيسى الى الآن حيا . ولا بد ان يتحقق هذا الايمان به قبل موته . وذلك انما يكون عند نزوله آخر الزمان .

وقوله تعالى :

« وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها » (١) .

فقد فسروا هذه الآية بان نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان من علامات الساعة .

وثانيا : ما ورد فى السنة :

فقد روى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« والذي نفسى بيده ليوصلن ان يفلن فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير . ويضع الجزية . ويغيض المال حتى لا يقبله احد » (٢) .

وروى برواية اخرى فى كتاب الانبياء :

« والذي نفسى بيده ليوصلن ان يفلن فيكم ابن مريم حكما عدلا . فيكسر الصليب . ويقتل الخنزير . ويضع الحرب . ويغيض

(١) سلتوت : ص ٧١ ، والآية من سورة الزخرف : ٦١

(٢) فتح البارى ج ٤ ص ١١٤



أنال حتى لا يقبله أحد حتى نكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها » - ثم يقول أبو هريرة : واقرأوا أن شئتم : « وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته . ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا » (١) .

● غير أن هذا الرأي في تفسير الآيتين ليس مجمعا عليه ، فقد ورد في تفسير الآية رأي آخر ، رواه ابن جرير من طريق عكرمة عن ابن عباس :

لا يموت يهودى ولا نصرانى حتى يؤمن بعيسى . فقال عكرمة : أريد أن يخرج من بيت . أو احترق ، أو أكله المسبح . قال : لا يموت حتى يحرك شفتيه بالإيمان بعيسى .

قال النووي :

معنى الآية على هذا : ليس من أهل الكتاب أحد يحضر الموت . الا آمن عند المعايضة قبل خروج روحه بعيسى . وأنه عبدالله . وابن أمته . ولكن لا ينصحه هذا الإيمان في تلك الحالة . كما قال تعالى : « وليبست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت . قال : انى تببت الآن » (٢) . قال : وهذا المذهب أظهر لأن الأول يخص الكتابى . الذى يدرك نزول عيسى . وظاهر القرآن عمومته في كل كتابى في زمن نزول عيسى وقبله (٣) .

أما الرأي الآخر الذى ورد في تفسير الآية الثانية فهو :

(١) المصدر السابق ج ٦ ص ٤٩٠ - ٤٩١

(٢) النساء : ١٨ (٣) فتح البارى ج ٦ ص ٤٩٢ - ٤٩٣

ان عيسى علم للساعة ، أى ان حدوثه من غير اب دليل على  
امكان الساعة .

أو ان باحيائه الموتى دليل على امكان البعث والنشور .

ومن هذا يتبين ان احتمال الآيتين لعنى آخر ، غير نزول عيسى .  
دليل على انهما ليستا نصين قاطعين في نزوله عليه السلام .

اما الاحاديث التى اخبرت بنزول عيسى عليه السلام ، فقد  
قالوا فيها : انها آحاد ، ونزول عيسى من الامور العقدية ، التى  
لا تثبت الا بالقرآن أو بالحديث المتواتر فاذا انفتق الاول لوجود  
رأيتين فيما ورد فيه من آيات حول هذا الموضوع ، ولم يتحقق الثانى  
لان احاديث نزول عيسى ليست متواترة ، فقد انتفت قطعية دلالة  
هذه الاحاديث على نزوله ، وقد غسر الشيخ سلفوت القول (١) هذا  
حيث يقول :

« وموجز ما نقول فيها : انها لا تخرج عن كونها احاديث  
آحاد ، واحاديث الآحاد مهما صحت لا تفيد يقينا يثبت عقيدة  
يكفر منكرها » .

ولانه لمؤسسى ان ارى قوما تظاهروا بالانتساب الى الدين ،  
والغيرة على احاديث الرسول استباحوا لانفسهم - في سبيل  
اغراضهم الدنيا - ان يصطنعوا كل اساليب التلبيس والتصويه في  
شأن احاديث عيسى ، التى لا يمكن ان يكون منها متواترا حتى  
على أوسع الآراء في تحقته . وهى مع احاديثها يكثر ويشدد في معظمها  
ضعف الرواة واضطراب المتن ، وفتارة الحافى ، فتراهم يقولون  
هى متواترة قد رواها فلان وفلان من الصحابة والتابعين ، وذكرت

في كتاب كذا وكتاب كذا من كتب المتقدمين ، فإذا رأوا في بعضها ضعفا أو اضطرابا ، أو نكارة ، حاولوا التخلّص من ذلك ، فقالوا : إن الضعيف منها منجبر بالقوى ، وإن العدالة لا تشترط في رواية التواتر . وهكذا يخطعون عليها ثوبا مهلهلا من القداسة ، لا رغبة في علم ، ولا غيرة على حق ، ولكن مكابرة وعنادا ، وإصرارا على انتزاع ليل ، وليقال على السنة العامة ، وأشباه العامة : أنهم حفاظ وأنهم محدثون . (١) .

أما الإجماع الذي استدل به جمهور علماء المسلمين على نزول عيسى عليه السلام فلم يسلم من النقد ، إذ قيل فيه إن الإجماع في الأمور الغيبية لا يتحقق ، لأن المجمعين لا يعلمون ما أجمعوا عليه ، إلا من حيث هو منقول عن يطلعه الله على الغيب ، فهو راجع إلى المنقول ، يقول الشيخ شلتوت :

« إن الذين ذهبوا إلى حجية الإجماع لم يتفقوا على شيء يحتاج به سوى الأحكام الشرعية العملية ، أما الحسيات المستقبلية من أشراف الساعة وأمور الآخرة فقد غالوا . إن الإجماع عليها لا يعتبر من حيث هو إجماع ، لأن المجمعين لا يعلمون الغيب ، بل يعتبر من حيث هو منقول عن يطلعه الله على الغيب ، فهو راجع إلى الاختبارات فيأخذ حكمها وليس من الإجماع المخصوص بأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن الحسى المستقبل لا مدخل للاجتهاد فيه ، فإن ورد به نص فهو ثابت به ، ولا احتياج إلى الإجماع وإن لم يرد به نص فلا مسأغ للاجتهاد فيه » .

وعلى هذا تخضع جميع الأخبار - التي تتحدث عن أشراف

(١) شلتوت : ص ٧٧ - ٧٨

( ٦ - أثر البيهية )

المسألة ، ومن بينها نزول عيسى - الى ميما قطعية النصوص  
وظنيها في الوجود والدلالة (١) .

ثم يبيى أن هذه المسألة مختلف فيها قديما وحديثا :

أما قديما فقد نص على ذلك ابن حزم في كتابه ، مراتب الاحكام  
.. حيث يقول :

« وانفقوا على انه لا نبى مع محمد صلى الله عليه وسلم .  
ولا بعده ابدا . الا انهم اختلفوا في عيسى عليه السلام : لياتى قبل  
يوم القيامة ام لا . وهو عيسى ابن مريم المبعوث الى بنى اسرائيل  
قبل مبعث محمد عليه السلام . » كما نص عليه أيضا القاضي عياض  
في شرح مسلم ، والسعد في شرح المقاصد .

وأما حديثا . فقد قرر ذلك كل من الاساتذة المغفور لهم :  
الشيخ محمد عبده والسعد وسيد رضا والاستاذ الاكبر الشيخ  
المرآنى .

فالشيوخ محمد عبده يقول في تفسيره آية آل عمران :

« اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى » (٢)

ان العلماء هنا طريقتين :

أحدهما وهي المشهورة انه رفع بجسمه حيا ، وأنه سينزل  
الى آخر الزمان فيحكم بين الناس بشريعته . ثم يتوفاه الله .

(١) المصدر السابق ص ٧٩ - ٨٠ . (٢) آل عمران : ٥٥



والطريقة الثانية : ان الآية على ظاهرها ، وان النوى على  
معناه الظاهر المتبادر منه ، وهو الامانة العادية ، وان الرفع يكون  
بعده ، وهو رفع الروح .. الخ .

ثم يذكر :

« ان لاهل هذه الطريقة في احاديث الرفع والنزول تخريجين :

أحدهما : انها آحاد تتعلق بأمر اعتقادي ، والامور الاعتقادية  
لا يؤخذ فيها الا بالقطعي وليس في الباب حديث متواتر .

وثانيهما : تاويل نزوله وحكمه في الارض بقلية روحه ، وسر  
رسالته على الناس ، وهو ما غلب في تعليمه من الامر بالرحمة  
والحبة والسلم ، والاخذ بمقاصد الشريعة ، دون التوقف عند  
ظواهرها ، والتمسك بقشورها دون لبابها (١) .

ولما تلقى السيد رشيد رضا سؤال حول هذا الموضوع (٢) ،  
اجاب السائل بعرض للايات وآراء المفسرين فيها ثم قال : « وجملة  
القول انه ليس في القرآن نص صريح في ان عيسى رفع بروحه وجسده  
الى السماء حيا حياة دنيوية بها ، بحيث يحتاج بحسب سنن

(١) تفسير المنار ج ٣ ص ٣١٦ - ٣١٧

(٢) « ونص السؤال : ما حال سيدنا عيسى الآن ؟ واين جسده  
من روحه ؟ وما قولكم في الآية « لنى متوفيك ورافعك الى » وان كان  
حيا يرزق كما كان في الدنيا فمم يأتية الغذاء الذي يحتاج اليه كل  
جسم حيواني كما هي سنة الله في خلقه ؟

الله تعالى الى غدا ، فيتوجه سؤال النائل عن غذائه ، وليس فيه نص صريح بأنه ينزل من السماء ، وإنما هي عقيدة أكثر النصارى . وقد حاولوا في كل زمان منذ ظهور الاسلام بثها في المسلمين (١) .

أما المعصور له الأستاذ الأكبر الشيخ المرائى ، فقد أجاب عن سؤال اجابة جاء فيها : « ليس في القرآن الكريم نص صريح فاطم على أن عيسى عليه السلام رفع بجسمه وروحه ، وعلى انه حتى الآن بجسمه وروحه » وقول الله سبحانه : « اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الى ومظهرك من الذن كبروا » (٢) الظاهر منه انه توفاه واماته ، ثم رفعه ، والظاهر من الرفع بعد الوفاة انه رفع درجات عند الله ، كما قال في ادريس عليه السلام : « ورفعناه مكانا عليا » (٣) . وهذا الظاهر ذهب اليه بعض علماء المسلمين فهو عند هؤلاء ، توفاه الله وفاة عادية ، ثم رفع درجات عنده فهو حتى حياة روحية كحياة الشهداء ، وحياة غيره من الانبياء ، لكن جمهور العلماء على انه رفعه بجسمه وروحه فهو حتى الآن بجسمه وروحه ، وفسروا الآية بهذا بقاء على احاديث وردت كان لها عندهم المقام الذي يسوغ تفسير القرآن بها . ثم قال : ولكن هذه الاحاديث لم تبلغ درجة الاحاديث المتواترة التي توجب على المسلم عقيدة ، والعقيدة لا نجب الا بنص من القرآن ، او بحديث متواتر . ثم قال : وعلى ذلك فلا يجب على المسلم أن يعتقد أن عيسى عليه السلام حتى بجسمه وبروحه ، والذي يخالف في ذلك لا يعد كافرا في نظر الشريعة الاسلامية .

(١) شذوت ٨١ عن الجزء العاشر من المجلد الثامن والعشرين

للنصارى

(٢) آل عمران : ٥٥ ، (٣) مريم : ٥٧

ثم يعقب الشيخ سلطون على ذلك فيقول :

« هذه نصوص صحيحة يقرر بها هؤلاء العلماء قديما وحديثا أن مسألة عيسى مسألة خلافية وأن الآيات المتصلة بها ظاهرة في صوته عليه السلام موتا عاديا ، وأن الأحاديث الواردة فيها أحاديث آحاد لا تثبت عقيدة ، وهي مع هذا تحتمل التأويل وأنه لا يكفر المسلم بانكار رفع المسيح أو نزوله ، (١) .

ثم يستلمح الرأي المعارض لعودة المسيح عليه السلام أن يشق ظويفا له بين جمهور المسلمين . فظل محصورا بين أشخاص معدودة من العلماء الذين اعتنقوه ، أما جمهورهم ومن ورثهم جميع المسلمين - فقد آمنوا بعودته ، مستدلين بما ورد في القرآن الكريم من آيات تحدثت عن نجاته من اليهود ، ورفعه إلى السماء ، وأحاديث اجبرت بانه سينزل في آخر الزمان ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير .. و .. الخ .

ولم يرجع شبه الإجماع على عودة المسيح إلى ما استدل به المؤيدون من آيات وأحاديث فقط - لأنها لا تدخل بالنقص القاطع على ذلك كما سبق بيانه - بل إلى استعداد النفس البشرية لاعتناق هذا الرأي ، ذلك أن الانسان يعتقد في عودة من اختفى عن الحياة العادية في حالتين :

الأولى : حبه الشديد له .

فالاعتقاد في رجعة انسان معين .. تنم عن تقدير المعتقد لهذا الانسان المعين وعن حبه له . بل عن شدة الوله به . وعن هذا

الحب الشديد والرغبة المتزايدة في الحرص على بقاءه ولقائه ومصادفته ينشأ شك الحب في قتل من يحبه أو موته ، أو سمع بأنه قتل أو مات (١) . فإذا اصطدم بالحقيقة الواقعة ، وهي أنه لم يعد يراه يفظه ولم يعد يتحدث اليه مشافهة بعد غوات وقت طويل على ذلك . لم يصدق بموته ، أو يقتله مع ذلك ويؤمن بغيبته فحسب . ثم بناء على ذلك بأوبته ورجعته يوما ما ، طالت فترة الغيبة أم قصرت . لأن الحب القوي يخلق أملا قويا ، قد ينعارض مع واقع الامر والنفس موزعة بين الامل القوي والواقع الذي لا مراء فيه ، لا تتركز الى طرف منهما وهذه حال الشك .

لكن عيشة النفس في الامل أعنا وأرع ، لأن متعتها فيه اطول ، ولأنه متجزما عند فرارها من الواقع - ولهذا ترجح البقاء فيه عند النزول الى عالم الحقيقة وعذا هو حال ترجيح أحد طرفي الشك . وهو هنا ترجيح غيبة المحبوب دون الاعتقاد بقتله أو موته الذي يمثلته الواقع . ثم يصبح هذا الترجيح عقيدة بالغبية .

فإذا اطمأنت النفس عندئذ الى غيبة المحبوب ، تحول هذا الاطمئنان الى امل قوي في عودته ، لأنها شديدة الحرص قبل على رؤيته يفظه ومشافهة في الحديث . ثم يتحول عذا الامل بعد مرور فترة أو فترات عليه الى عقيدة برجعته .

فإذا ما أصبحت الرجعة عقيدة للنفس ، تخيلت وقتها فحددته ، وفي أول الامر تقصر الفترة التي تتوقع بعدها الآية ، لأن الامل القوي

(١) وعمر رضى الله عنه فيما يروى عنه عند وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم من انه قال : « من قال أن محمدا قد مات قتلته بيسفي هذا » . لم يقل غير ما تمليه الطبيعة الانسانية .



يترجى بذلك . فإذا استرغمت الفترة المحددة على النهاية ، أو انتهت بالفعل ومع ذلك لم يعد المحبوب الذي اعتقد بعوضته ، أول أصحابه في الوقت ، وشرحوه بغير المألوف والمتعارف ، حتى يستطيعوا التوفيق بين الحقيقة والعقيدة فالיום في نظره لم ليس كأيامهم العادية والسنة ليست كذلك السنين التي تمر بالإنسان العادي .

وبهذا نرى الترجمة والاعتقاد بها مرحلة أخيرة في طريق نهضة النفس بالحب وتتوسطه بالامل . ومن هنا كانت عقيدة الترجمة تعتبر من الظواهر النفسية العامة التي لا تختص بها جماعة إنسانية . دون جماعة أخرى . وظهورها في الجماعة يتوقف فقط على محبين ولهين لشخصية عزيزة فيها (١) .

وينطبق هذا على الذين آمنوا بترجمة الامام الغائب من الشيعة وعلى من آمن من النصارى بالترجمة الثانية ليعيسى عليه السلام . كما جاء في العهد القديم المزمور الآن بين أيدي النصارى .

### الثانية : الامل في نصر ساحق على الأعداء .

يشيع هذا الامل بين كل أفراد المجتمعات الانسانية ، ولكن لا يترتب عليه ظهور عقيدة الترجمة في المجتمع ، الا اذا كان الصراع قائما على اساس ديني . فالمطالبيون بحقهم المستند - في رأيهم - على نصوص شرعية ، يعتقدون انهم مؤيدون من السماء ، وان النصر حليفهم . فهم شادرون على سحق الأعداء ، وسيسيطرون على مقاليد الامور في الدولة . فاذا ما انتكمت جبهتهم ، فضاغ سلطانهم وتبددت قواهم . واصبحوا عاجزين عن مواجهة القوة الأخرى .

(١) الجانب الإلهي : ج ١ ص ٩٢ - ٩٤ .

دفعهم الامل في النصر الى الاعتقاد في ظهور امام له من القوة ما تفوق هذه القوة المادية ، وعندها سيكون النصر حليفهم ، فيسحقون أعداءهم .

مرت الشيعة بهذه المرحلة ، اذ اضلهم الامويين ، ثم النعاسيون ، فقتلوا المنتقم ، وشردوا اتباعهم . ولما ضاقت بهم الارض ، عاشوا في امل تخيلوه ، ثم آمنوا بوقوعه ، فوضعوا الاحاديث التي تنبئ، بما يجول في نفس مضطهدة . اذ جاء في احاديثهم ان الامام سيظهرهم على من عاداهم قائموا برجعتهم ليخلصهم من هذا الاضطهاد ، كما ساعدت أيضا عقيدة ظهور المهدي بين أهل النسنة . لانهم ربطوا خلاصهم من الاستبداد والظلم بظهوره . ولهذا نرى أن احاديث المهدي تتحدث عن انه سيملا الارض عدلا ، كما ملئت جورا وظلما .



اجتاحت العالم الاسلامي في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي حالة من اليأس في النصر على المستعمر الأوروبي ، اذ بلغت سيطرته على البلاد الاسلامية قروتها في ذلك التاريخ ، فتوجه المسلمون الى مصدر القوة التي لا تقهر ، الى الله سبحانه وتعالى ، ولما كانت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم هي خاتم الرسالات السماوية ، - فلن يبعث رسول برسالة أخرى - ترقب المسلمون ظهور المهدي المؤيد من الله كي يخلصهم من هذا الكابوس الاستعماري ، كما توقعوا قرب نزول المسيح عليه السلام ، ليحكم بالقرآن الكريم ، ويكسر الصليب ، ويقتل الخنزير و . . و . . الخ . فاستقبل الانجليز هذا الوضع النفسي للمسلمين فدفعوا بعميل لهم - هو ميرزا غلام احمد - الى ساحة الدعوة الدينية ، ليحد من تيار الدعوة الى الجهاد ضد المستعمر - لانه فسرهم على نحو يبطل فرضيته - فادعى انه هو المسيح الذي أخبر بنزوله ، وينتظره

المسلمون ليخلصهم من الاستبداد ، وليمكن لدين الله في الأرض ،  
ومما قاله ميرزا في هذا الصدد :

« أيها الناس : إذا كنتم أصحاب إيمان ودين فاحمدوا الله  
واسجدوا لله شكرا إن العصر الذي قضى أباؤكم حياتهم في انتظاره  
ولم يدركوه ، وتشتقت إليه أرواح ولم تسعد به قد حل وأدركتموه  
واليكم وحدكم ان تقدروا هذه النعمة ، وتنتهزوا هذه الفرصة ،  
ساكروا ذلك ، ولا افقا اذكره أننى ذلك الرجل الذى ارسل لاصلاح  
الحق ليقيم هذا الدين في القلوب من جديد .. ان لى شيئا بفطرة  
المسيح لديك العقيدة الصليبية . فقد ارسلت لكسر الصليب وقتل  
الخنازير .. » (١)

كان غرض الانجليز من دفعه الى الجهر بهذه الدعوة أن يؤمن  
الناس به ويلتفتوا حوله ، فيكون زمام الامر بأيديهم - أي الانجليز -  
لأنهم سوف يعملون على زعيم المسلمين الروحي - لو آمن الناس  
بصدق ادعائه بأنه المسيح - ما يريدون .. وبذلك تتحقق سيطرتهم  
على المسلمين ، إذ بعد ما فشلت محاولة الاستعمار في ابعاد المسلمين  
عن الاسلام ، سلك أسلوب تدفئ الحركات الاسلامية المنحرفة -  
بل هو الذى دفع بعض الأشخاص الى انشائها - ليوجهها نحو  
الهدف الذى يريده وكانت القاديانية ، هي احدى هذه الحركات ،  
تجنبا عن الانجليز ، وأوعزوا الى مؤسسها ليدعو الى مزج الاسلام  
بالمسيحية ، كي تضعف مقاومة المسلمين للمستعمر المسيحى ،  
فوجد ميرزا في عقيدة رجعة عيسى عليه السلام خطوة اولى على هذا  
الطريق ، ثم حاول مزج الاسلام بالمسيحية في تعاليمه ، ودفعه الى  
ذلك أيضا ، ما ساعده في الدين الهندوسى من مزج للآراء المختلفة

المصاعير ، فسار على هذا الدرب مقلداً ، وللانجليز معاوناً .

لو لم توجد عقيدة رجعة عيسى عليه السلام عند المسلمين  
 ما ادعى ميرزا غلام أحمد أنه المسيح ، ولو لم يفتشاً قريبا من  
 المجتمع الهندوسي ما حاول مزج الاسلام بالمسيحية ، ولو لم يوجد  
 الاستعمار الانجليزي في الهند ، ما نحا ميرزا غلام أحمد في دعوته  
 نحو هذا الاتجاه لتأويل النصوص الاسلامية تأويلا متعسفا ارضا ،  
 للاستعمار .



## أهم المراجع

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري  
أحمد بن علي بن حجر العسقلاني  
تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي - محب الدين الخطيب -  
الطبعة السلفية
- صحيح مسلم  
للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري  
تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي - الحلبي عام ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م
- سنن ابن ماجه  
للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني  
تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي - الحلبي عام ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م
- سنن الترمذي  
للإمام الحافظ ابن عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي  
تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف الداني - عام ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م
- مسند ابن حنبل  
للإمام أحمد بن حنبل  
بيروت - دار صادر عام ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م
- تفسير المفار  
للشيخ رشيد رضا  
القاهرة ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م
- تفسير الراغب  
للشيخ أحمد مصطفى الراغب  
القاهرة ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م

- نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام  
على سامى النشار - القاهرة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨ م
- الجانب الالهى من التفكير الاسلامى  
للدكتور محمد البهى  
القاهرة ١٣٦٨هـ / ١٩٤٨ م
- الفتاوى  
للمسيح محمود شلتوت  
القاهرة طبعة دار القلم - بدون تاريخ
- المسيح فى مصادر العقائد المسيحية  
أحمد عبد الوهاب - القاهرة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨ م
- الاسلام قوة الغذ العالمية « باول شمتز »  
ترجمة : الدكتور محمد شامة :  
القاهرة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤ م
- الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى  
للدكتور محمد البهى  
بيروت : ١٩٧٠ م
- القاديانى والقاديانية  
أبو الحسن على الحسنى الندوى  
الدار السعودية للنشر جـدة ١٣٩١هـ / ١٩٧١ م
- ما هى القاديانية  
أبو الأعلى المودودى  
دار القلم - الكويت - بدون تاريخ

## محتويات الكتاب

الصفحة	الموضوع
٢٧	مقدمة
٢٧	الباب الأول : طبيعة الدين الهندوسي
١١١	( ٧ - ٢٢ )
١٢	الباب الثاني : الصراع الديني
٢٢	( ٢٣ - ٦٦ )

٢٤	أولا - أصالة الدين الاسلامي في النفوس
٣١	ثانيا - الوضع الاستراتيجي للعالم الاسلامي
٣١	( أ ) التحكم في حركة المواصلات العالمية
٣٤	( ب ) القوى البشرية والمادية الهائلة
٤٢	ثالثا - رفض المسلمين السيطرة الاجنبية
٤٩	١ - الدراسات الاستشراقية
٥٧	٢ - المدارس الأجنبية
٥٩	٣ - ازدواج التعليم
٦٤	٤ - خلفاء الاستعمار

## الباب الثالث : الرجعة

( ٦٧ - ٩٠ )

٦٨	انكيسافية - المختارية
٦٩	الزيدية - الجارودية
٧٠	الامامية - النواوسية - الاسماعيلية الواقعة - الموسوية





رقم الايداع ١٩٨٠/١٥٦٠

الترقيم الدولي ٩٧٧

مطبعة  
دار أسامة للطبع والنشر  
عقبة سكان - بن يثرب بالاسرة

## للمؤلف

- ١ - الإسلام قوة الغد العالمية
- ٢ - الخطر الشيوعي في بلاد الإسلام
- ٣ - أثر البيئة في ظهور القاديانية
- ٤ - الإسلام في الفكر الأوربي
- ٥ - حقائق عن نظام الحكم الشيوعي